واستمرت هذه الحركة حتى منتصف الجيل السابع عشر ثم استعاد المذهب الحسي نفوذه في انكلترا بواسطة دارون وهربرت سبنسر وفي فرنسا بواسطة اوجست كونت ومدرسته الوضعية .

ومع كل ذلك كانت المذاهب المتعارضة تتنازل لبعضها البعض عن قسم من مزاعمها

وتنقسم الفلسفة في هذا الدور الي ثلاثة مدد مطابقة للثلاثة اجيال المذكورة أي السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر

المدرسة التجريبية

٥٨

بيكون (١٥٦٠ — ١٦٢٦) F. Bacon

ولد فرنسيس بيكون في ٢٢ يناير سنة ١٥٦٠ في لندن وكان ابوه اللورد نقولا بيكون وزيراً للعدلية مدة عشرين عاماً على عهد الملكة اليصابات

أتم علومه في السادسة عشر من عمره في كلية كمبردج ثم التحق بالسفارة الانكليزية في فرنسا . ولما مات أبوه ولم يترك له ثروة اضطر الى العودة الي لندن وانتظم في سلك المحاماة وعينته الملكة محامياً لمجلسها الخاص .

وفي سنة ١٥٩٢ أنتخب نائباً عن كونتية مدلكس في مجلس العموم . ولما ارتقى جاك الاول سرير الملك انفرجت ضائقته المالية اذ تمكن من اكتساب عطف الملك فتعين على التعاقب محامياً عن المملكة فدعياً عمومياً فعضواً في المجلس الخاص فوزيراً للحقانية وأخيراً مستشاراً خاصاً وكان ذلك سنة ١٦١٨ وقدمنح لقب بارون فيرولام وفيكونت سنتلبان ، ورتبت له المرتبات واصبح ذا جاه ونفوذ ومال .

ماذا حدث حينذاك ؟

سلك سلوكاً عاد عليه وعلى الملك ونديمه بوكنجهام بالفوائد المالية التي أضرت بمصالح الامة . فثار عليه الرأي العام واتهمه امام البرلمان بالارتشاء وببيع المصالح العمومية لبعض المقربين

فحرصاً على شرف الملك لم يشأ المدافعة عن نفسه ولذلك حكم عليه بغرامة قدرها ٤٠٠٠٠ جنيهاً انكليزياً وبالسجن في قلعة لندن سنة ١٦٢١ ولكن الملك عفى عنه متجاوزاً عن السجن وعن الغرامة .

فتخصص بيكون اذ ذاك للبحث الفلسفي وظل الخمس سنوات الباقية من حياته مشتغلا بتأليف كتابه « الاصلاح الكبير » Instauratio Magna ، وكان يقسمه الي ستة أجزاء لم يتم منها سوى اثنين يصف في الجزء الاول أنواع العلوم وترتيبها . ويشرح في الثاني طريقته الجديدة Novum Organum معارضاً به كتاب ارسطو « الاسلوب » أما باقي الاجزاء فلم يتم تأليفها وتوجد شذرات منها خاصة بالعلوم الطبيعية كتاريخ الرياح . وتاريخ الحياة والموت . والكثافة والندورة . والعقل والخفة الخ .

كان بيكون متشرعاً . وسياسياً وخطيبا وكاتبا ومؤرخا وفيلسوفا . ونحن لا نتكلم عنه الا بصفته الاخيرة

فلسفته : أشهر نظريات بيكون ثلاث وهي (١) تقسيم العلوم (٢) اسباب الخطأ ، (٣) موضوع العلوم الطبيعية وطريقتها

(**تقسيم العلوم**) قسم بيكون المعارف البشرية الى ثلاثة اقسام كبرى وهي التاريخ والشعر والفلسفة . تبعا للقوى الثلاث المتميزة في الانسان وهي الحفظ . والتخيل . والعقل

﴿ فالتاريخ ﴾ ينقسم الى طبيعي والى مدني ، ويتضمن المدني تاريخ الادب والتاريخ الديني .

﴿ اما الشعر ﴾ فيقسمه بيكون الى قصصي ووصفي وحماسي ورمزي .

﴿ والفلسفة ﴾ لها أغراض ثلاثة : الله والطبيعة والانسان غير انه يضع العلم الطبيعي في الصف الاول لان الطبيعة تؤثر على الفكر البشري بشعاع مستقيم . ونعرف الله بشعاع منكسر ، والانسان بشعاع منعكس

فينبغى قبل كل شيء اصلاح الفلسفة الطبيعية أو بالحرى تأسيسها من جديد .

(**اسباب الخطأ**) اكبر حائل دون رقي العلم الطبيعي هو الاوهام او الاشباح التي يدعوها بيكون (idola) لانها تقف عثرة بين الفكر الانساني وبين حقائق الاشياء . وهي على اربعة انواع اوهام جنسية . ونوعية . وجمهورية . ومسرحية

فالاوهام الجنسية idola tribus هي التي تصدر عن طبيعة الانسان وتكون عامة بين الاسرة أو القبيلة أو النوع الانساني جميعه وبذلك يصدر الانسان حكمه على طبيعة الاشياء بحسب طبيعته هو وليس بحسب طبائعها

والاوهام الخصوصية idola Specus تابعة لكل شخص وما يتصف به من الاخلاق والاميال والشهوات ولكل واحد شبه مغارة فلا يدخل اليها نور الطبيعة الا منكسراً مضطربا

والاوهام العمومية idola fori تنشأ بواسطة الخطب والمنشورات فيظن الفكر انه يتصرف بالكلام مع انه خاضع له . فتارة تكون الالفاظ دالة على الاشياء الغير موجودة وتارة تكون المعاني التي تدل عليها تلك الالفاظ مشوشة مضطربة وقيلت صدفة

أما الاوهام المسرحية idola theatri فهي أوهام أوجدتها المذاهب والنظم الفلسفية المختلفة وقد دعاها بيكون «مسرحية» لانه يشبهها بروايات تمثيلية ابتكرها الفلاسفة ومثلها كل واحد منهم بدوره ، وهي على ثلاثة أنواع : عقلية صرفة ، واختبارية صرفة ، وتصوفية .

(موضوع العلوم الطبيعية) : متى تخلص العقل من جميع أوهامه أمكنه التخصص لدراسة الطبيعة . ولكن ما هو الغرض الذي يجعله نصب عينيه من هذا الدرس وكيف يصل اليه ؟

يتلخص رأي بيكون في ثلاث نبذات :

١ — غاية العلم التسلط على الطبيعة أكثر من تفهمها

٢ — لذلك لا يكون غرض الانسان معرفة العلة الغائية أو العلة الفاعلة ، انما مقصده ان يعرف قوانين الظواهر الطبيعية أي العلة المشكلة للاشياء

٣ — لا يمكن للعلم الوصول الى معرفة تلك القوانين الا بطريقة مغايرة تماما للاستنتاج السلوجسمي أي بطريقة استدلالية تجريبية .

يقصد بيكون بنظريته تأسيس العلم على العمل فيكون قوة وعلما . وبعد ان كانت الفلسفة القديمة غنية فقط بالالفاظ ستكون غنية أيضا بالافعال وتجعل الانسان ليس فقط معبراً عن الطبيعة بل مديراً لها أيضا .

ولكن ما الذي ينبغي معرفته لتسخير الطبيعة والتسلط عليها ؟

يكفي لذلك معرفة النواميس التي تهيمن على الطبيعة . فالمعرفة الحقيقية هي معرفة العلل vere Scire Per causas scire واصدق العلل هي الصورية المشكلة

ولا يوجد في الطبيعة سوى كائنات وظواهر فردية ؟ الا ان لهذه الكائنات صفات عامة وهذه الظواهر تحدث طبقا

لقوانين عمومية

فالمعرفة لا تبحث في الاشخاص انما موضوعها الصور الجوهرية للاشخاص . وليست هذه الصور خارجة عن الاشياء بل هي صفات عمومية ثابتة ، بوجودها أو بنفيها تتعين وجود أو عدم الظواهر المختلفه وخواصها

ولكل مادة صورة ليست الا حداً لمادة أعم منها بمعنى انه كلما كانت المادة الموجودة اسهل واعم كانت الصور المكونة لها بسيطه وعامه ويمكن تخيل صورة واحدة تعم كل الموجودات وتكون بمثابة علة لوجودها ولمادتها العامه

بيد ان بيكون يقول باغلبيه وجود عدد من الصور من الدرجه الاولى **Prima Classis** يقارنها بحروف الهجاء ، وباختلاف تركيبها تتألف جميع الفاظ اللغه

فمعرفه الصور هي خلاصه العلم . وهذه المعرفه دون غيرها تبتكر جميع الموجودات التي يخيل الينا انها مختلفه

ومن رأيه أيضا ان لا معنى للصدفه أو الاتفاق حيث يقول « لا يوجد في العالم الطبيعي كبير أو صغير الا وله سبب ولا يوجد شيء في الوجود أشبه بجزيرة وسط المحيط لا اتصال بينها وبين اليابسه »

والطرق التي يجب ملاحظتها للوصول الى المعرفه ثلاثة

أولاً — الملاحظه والاختبار وقيد الحوادث كما تحصل وهذه

الظواهر المستجمعه هي مايدعوها بيكون **instantia naturæ**

ثانيا — ترتيب تلك الظواهر في جداول ثلاثة وهي جدول الحضور وجدول الغياب وجدول الدرجات

ومن أقوال بيكون ان العمل هو المقصد الاساسي للعلم وان المعرفة هي القدرة. والحقيقة بنت البحث الزمني وليست وليدة التقليد . وان العصر الذهبي نستقبله دائما لانه امامنا ولم نخلفه وراءنا فيكون العقل في رقي وليس في تقهقر كما ان القليل من الفلسفة يؤدي الى الالحاد ولكن التبحر فيها يعيد الملحد الى التدين .

النقد

مما لا نزاع فيه ان بيكون مؤسس الطريقة الواجب اتباعها في العلوم الطبيعية ويرجع اليه فضل رقيها

غير ان تلك الطريقة لا يجب تطبيقها على العلوم النظرية وأخطأ بيكون أيضاً في عدم تطبيقه طريقته على العلوم النفسية اذ انه اهمل ملاحظة الظواهر الباطنية

ولا نظن انه انكر وجود الله كما يزعم بعض خصومه بل انه يسلم أيضاً بالوحي

اما تقسيم العلوم بالنظر الى ترتيب قوى النفس فقد طرحت في

زوايا النسيان بعد ان طارت شهرته في الجيل الماضي

ويلحق بمدرسة بيكون التجريبية هوبس وجاصندي ولوك

ويمكن لنا ان نقول ان هؤلاء الرجال الثلاثة نشروا روح بيكون في جميع اقسام الفلسفة وكأنهم تقاسموا فيما بينهم نظريات مدرستهم : فهوبس رجلها الاخلاقي والسياسي ، وجاصندي علاّمتها وطبيعيّها . ولوك عالمها النظري .

٥٩

هوبس (١٥٨٨ — ١٦٧٩) Hobbes

ولد توماس هوبس في مومسبري **Malmesbury** بكونتية ويلث وتلقى العلم في جامعة اكسفورد وكانت له صلة بجاصندي وغليلي وديكارت ولكنه كان قبل كل شيء تلميذاً ومعواناً لبيكون في ابحاثه . وكان يستخدم التعليل الاستنتاجي

أهم مؤلفاته كتاب « الانسان المدني » **De Cive** مؤلف من ثلاثة اقسام تبحث في الحرية والدولة والدين ، وكتاب لفياتان **Leviathan** أو كتاب المدنية طبع سنة ١٨٥١

وألف أيضاً كتاب في الطبيعة البشرية وكتاب في المنطق

مذهبه : ان الحواس مصدر المعرفة . وكل شيء ، ما عدا الجسم ، وهم لا يتناوله الفهم . فالفلسفة على هذا المبدأ هي علم الاجسام ، والاجسام اما طبيعية واما سياسية . فالاولى تتضمن الاجسام نفسها وما ندعوه نحن بالنفوس أيضاً ، والثانية تؤلف الجمعيات البشرية

وقال ان جميع معارفنا تصدر عن الحواس ولكن لا شيء يؤكد لنا ان الاحساسات والمشاعر تطابق اشياء حقيقية موجودة فالحقيقة اذن ليست الا الفاظا والتعليل ما هو الا حساب عمل بناء على علامات لا ثبات لها

وينشأ عن الاحساس الرغبة أو الخوف فهما المحركان الخفيان لكافة أعمال الانسان

والتردد بين الرغبة والكراهة نحو شيء واحد يسمى المداولة . وبعد هذه المداولة اذا تفاضل أحد هذين الدافعين على الآخر دعي التفاضل ارادة . وإمكان تنفيذ هذه الارادة يدعى حرية .

كذلك مصدر الخير والشر يوجد في القوة الاحساسية . فالانسان يعمل خيراً كلما سعى نحو اللذة وكلما ابتعد عن الالم . فعلى رأيه الغاية تبرر الواسطة .

ولقد بنى هوبس مذهبه السياسي على هذه الانانية . قال ان

الانسان للانسان عـدو مبين homo homini Lupus وكل واحد يرغب في كل شيء لنفسه خاصـة ويريد الحصول عليه والاستئثار به دون غيره. ولما كان الجميع يرغبون مثل بعضهم نشأت عن ذلك حالة حرب فيما بينهم Bellum omnium contra omnes فهذه الحالة التي يكون فيها الحق للقوة هي حاله الطبيعة غير انها لا تحتمل. فلكي يُوضع لهاحد يجب على الناس ان يتنازلوا لبعضهم البعض عن حقوقهم ويؤسسوا سلطة قوية لتضغط على القوات الشخصية وتسيطر عليها

هـذا أساس تأليف الهيئة الاجتماعية فخضعت كل هيئة لسلطان قوي يجب اطاعته مهما عمل

اما الدين فيجب ان يكون تابعا للدولة

وقـد لخص فيكتور كوزين مذهب هوبس فيما يأتي « انه مادي في العلم النظري . احساسي وارتيابي في المنطق قـدري واناني في الاخلاق . وحكم مطلق في السياسة .

٦٠

جاصندي (١٥٩٢ – ١٦٥٦) Gassendi

ولد بطرس جاصندي بالقرب من دني Digne بيروفنسا ويعد زعيم المدرسة التجريبية في فرنسا في الجيل السابع عشر اندمج في سلك الكهنوت وعلم الفلسفة فاللاهوت فالرياضيات ذاع صيته حتى انه عد اكثر الفلاسفة علما . واكثر العلماء فلسفة في الجيل السابع عشر

كان متفقا مع ديكارت على ضرورة استبدال الاسلوب السلوجسمي باسلوب آخر . ولـكنه اتخذ فلسفة مناقضة لفلسفة ديكارت وقام بينهما جدال عنيف كان بدء العراك الطويل الذي انتشب بين المـذهب الحسي والمذهب التصورى أو المثالي في العصور الحديثة

كتب مؤلفاته باللاتينية

مذهبه : اراد جاصندي تحبيذ مذهب ابيقور واعتناق مبادئه التي لا تتعارض مع الدين المسيحي ففلسفته توصف بانها ابيقورية مسيحية

وفي المنطق يذهب الى ان المعرفة تصدر عن الحواس . والقوة

الفكرية لا عمل لها الا تحصيل الظواهر التي تأتي بها الحواس . ومقارنتها ببعضها البعض لترتقي من الخاص الى العام .

وفي العلم الطبيعي : يسلم بمبدائي ايقورو وهما الفضاء والذرات ويبني عليهما جميع النظريات العلمية . بيد انه يعترف ان الله خالق العالم وأول محرك له

اما في الاخلاق : فمع تسليمه بالاصول المسيحية السامية يقول أيضاً « ان الغاية من الحياة نوال المرغوب أي السعادة »

فهو بهذا المبدأ يمهد الطريق لنظرية « المنفعة بمعناها الحقيقي » التي كانت عقيدة الجيلين الثامن عشر والتاسع عشر

٦١

لوك (١٦٣٢ — ١٧٠٤) Locke

يعد مؤلف كتاب « مبحث في العقل البشري » الزعيم الحقيقي للمدرسة التجريبية التي انتشر مذهبها في الجيل الثامن عشر في انكلترا وفرنسا وكانت سببا في ظهور مذهب (كانت) الانتقادي

ولد جون لوك في التاسع والعشرين من شهر اغسطس سنة ١٦٣٢ في مدينة رنجتون Wrington بالقرب من برستول بكونتية سومرست . كان والده من شيعة المطهرين واشترك في الحرب

الاهلية التي انتشبت أيام اضطراب حكم شارل الاول اما لوك فظل منتمياً للحزب الحر

تلقى دروسه الثانوية في مدرسة وستمنستر بلندن ثم التحق بجامعة اكسفورد . ولما بلغ السابعة والعشرين من عمره قرأ للمرة الاولى مؤلفات ديكارت فاثرت فيه تأثيراً كبيراً

ومنذ ذاك الحين عدل عن اعتناق الرهبنة التي كانت مطمح انظاره وعزم على ان يكون طبيباً

رحل الى فرنسا واقام فيها من سنة ١٦٧٢ الى سنة ١٦٧٩ وزار مدينة مونبلييه . ولما عاد الى انكلترا كان موضع ريبة عائلة ستوارت الحاكمة فالتجأ الى هولنده وبقي فيها حتى ثورة عام ١٦٨٨ فعينه غليوم دورانج معتمداً للمملكة على التجارة والمستعمرات . ومات في مدينة وطس oates في ٢٨ اكتوبر سنة ١٧٠٤ بالغاً من العمر اثنين وسبعين سنة

(مؤلفاته) — ترك لوك مؤلفات تتفاوت في القيمة. منها كتاب « فحص رأي ملبرانش في الابصار بالله » ورسالة في التساهل • وكتاب في تربية الاطفال • ومبحث في الحكومة المدنية .

بيد ان مؤلفه الشهير الذي بدأه في اكسفورد وأتمه أثناء نفيه ونشره في لندن سنة ١٦٩٠ هو كتاب « اختبار العقل

البشري Essai sur L'entendement humain ويقصد فيه « ارشادنا الى الوسائل التي بها يدرك العقل معاني الاشياء وما هي حدود المعرفة اليقينية وما هي الاساسات التي تبنى عليها الآراء السائدة بين الناس »

(فلسفته) : تتلخص في نظرياته (١) النفسية والنظرية (٢) نظرياته الاخلاقية والسياسية

اما الاولى فنجدها مشروحة في كتابه « اختبار العقل البشري وهو مقسم الى اربعة كتب تبحث (١) في المعاني الغريزية (٢) في صور الاشياء (٣) في الالفاظ (٤) في المعرفة

(الكتاب الاول) في المعاني الغريزية :

خصص لوك هذا الكتاب لدحض نظرية الغريزة ، قال ان المعنى الغريزي يجب ان يكون أصلياً وعاماً شاملاً بيد ان الاختبار أظهر لنا ان الاصول الاولى سواء كانت نظرية أو عملية ، ليست أصلية منذ الخليقة بما ان الاطفال غير حاصلين عليها ولا يفهمونها وليست أيضاً عامة شاملة لانها لا توجد عند البلهاء ولا المتوحشين فهي اذن مكتسبة كالصور التي تحتذيها — وقد بين في الكتاب الثاني كيف تكتسب

(الكتاب الثاني) في الصور :

يفترض لوك ان نفسنا في بدئها كلوحة بيضاء خالية من كل

معنى ذهني . اما الصور التي ترتسم عليها فيما بعد فهي ثمرة التجربة ومما لا شك فيه ان تصوراتنا على نوعين تصورات بسيطة وتصورات مركبة

وتشتق التصورات البسيطة من مصدرين وهما الاحساس اذا كان موضوعها الصفات المحسوسة كاللون والسمع وغيره ، والتأمل اذا كانت تتعلق بالنفس كالتفكر والارادة .

اما التصورات المركبة فهي نتيجة مزج او تعميم التصورات البسيطة فهي بهذا الاعتبار تصدر عن الاختبار

وبهذا يفسر لوك معنى العلة والجوهر والسرمدي الخ ويرجعها الى معاني التوارث والتجميع واللامحدود الخ

(الكتاب الثالث) في الالفاظ :

قال لوك ان المعرفة تتألف من جمل فيحسن اذن قبل كل شيء التكلم عن الالفاظ التي تتكون منها الجمل

وقد تضمن هذا الكتاب مباحث شيقه لاستعمال الكلام وما يؤديه من الخدمات للفكر . غير ان لوك لم ينحرف عن مذهبه الحسي فيقول ان جميع الالفاظ « الاصلية » تدل على معان حسية وان جميع اغلاطنا على وجه التقريب ترجع الى اغلاط لفظية وان جميع الجمل العمومية مجرد اصطلاحات لا ترتبط بأي حقيقة واقعية

(الكتاب الرابع) في المعرفة :

تتناول المعرفة العالم المحسوس أو الآنية الشخصية . أو الارواح أو الله .

فنحن لا نعرف العالم الخارجي الا بالتصورات التي نتصوره بها فلذلك لا تكون معرفتنا صحيحة الا اذا كانت تصوراتنا مطابقة لموضوعها . ولحل مسألة مطابقة التصورات على الاشياء تميز لوك بين نوعين من الصفات توجد في الاجسام ، وهي اما صفات أولية ، أو صفات ثانوية . فنحن لا نستطيع معرفة الصفات الثانوية مباشرة . بل الاولى فقط هي التي تنتقش على الذهن بواسطة صورة تماثلها

اما الآنية الشخصية فنعرفها من تلقاء الذات وهذه المعرفة واضحة كوضوح الشمس في رائعة النهار

اما الارواح لا يمكن ان ندركها بذواتنا ولا يمكن تمثيلها باي صورة، والوحي هو الذي يؤكد لنا وجودها . اما ماهيتها فليس لنا بها علم لان الله كان في مقدوره ان يعطي المادة قوة التفكير

ومعرفتنا بالله تكون بواسطة البراهين الطبيعية ، أما الدلائل الديكارتية فلا قيمة لها .

نظرياته الاخلاقية والسياسية: يخالف لوك مذهب هوبس في السياسة . ويحبذ مبادىء الحرية فالناس احرار بالطبع ولا

يمكن ان يخضعوا لاي سلطة الا بمحض رغبتهم فيجب اذن ان يكون حصل التعاقد قبل كل اجتماع مدني بيد ان موضوع ذلك العقد هو ضمان الحقوق الطبيعية السابقة لكل حق اجتماعي ويجب على الجمعية البشرية ان تحترمها فحسب بل وتدافع عنها من كل اعتداء

ولما كان الناس متساوين واحراراً فحقهم الاساسي هو انماء حريتهم ويتعلق بالحرية حق الملك وأساسه العمل ، وحق الدفاع عن النفس

والفرد بدخوله في الجمعية البشرية لا يتنازل عن تلك الحقوق انما يترك للسلطة الاجتماعية حق الدفاع عن النفس فيتحول في يدها الي حق العقوبة

والحاكم وكيل الامة التي تستطيع في كل وقت استرداد الوكالة اذا رأته اساء التصرف

كذلك يجب على الحكومة ان تتساهل لجميع المحكومين فيما يختص بمعتقداتهم واديانهم

أما مذهبه الخلقي فيؤول الى نظرية السعادة الذاتية أو

المنفعة لان الخير في نظره كل ما يؤدي الى استحقاق مكافأة والشر ما يستوجب العقاب . فالحرية الخلقية هي لا تتخطى حرية العمل .

النقد تعد فلسفة لوك بدء المقاومة ضد مذهب ديكارت العقلي الذي كان له السيطرة على العقول في الجيل الثامن عشر . ولو ان لوك كان متأثراً اكثر من يكون بفلسفة ديكارت .

لقد اخطأ الفيلسوف في نظريته في أصل المعرفة وقيمتها اذ جعلها تابعة للتجربة وهي تؤدي بلا شك الى فلسفة بركلي الارتيابية من الواضح ان افكارنا الحسية لا تتفق في شيء مع المادة نفسها ولو فرضنا ان افكارنا تتشابه مع موضوعاتها فلا يمكننا ان نعرف اذا كانت تلك الافكار تمثل حقيقة الصور الواقعية

اما الحرية فلا تكفي لانتاج الحق كما ان تراضي الطرفين لا تتولد عنه السلطة

اما نظريته الخلقية والنفسية فقد اثرت على الخصوص على مونتسكيو في كتابه «الحكومة المدنية» وعلى روسو في رسائله في التربية

المدرسة العقلية

٦٢

ديكارت (١٥٩٦ — ١٦٥٠)

Descartes

في متحف مدينة الهاي La Haye رسم صنعه المصور الشهير رمبرانت سنة ١٦٣٢ يمثل الاستاذ «طولب» يلقي درساً في التشريح على الوف الطلبة المحيطين به المعجبين بعلمه

فهذا الرسم البديع يمثل لنا شهرة ديكارت وتأثير فلسفته على العلماء والمفكرين بالرغم عن كرهه للتظاهر ومحبته للعزلة والانفراد

ولد رينيه ديكارت في ٣١ مارس سنه ١٥٩٦ في مدينه الهاي وكان ابوه مستشاراً في برلمان رينس Rennes أتم دروسه في كليه اليسوعيين في فليش بمقاطعه انجو سنه ١٦١٢ ثم شخص الى باريس في السنه التاليه وانكب على درس الرياضيات مع رفيقه في التلمذة الاب مرسين . ثم درس الحقوق وحاز اجازتها سنه ١٦١٦ وكان عمره حينذاك عشرين ربيعاً . وبعد ذلك انتظم

في الجندية كما هي عادة الاشراف في ذلك الوقت وقد وقع اختياره على فرقه موريس دي ناسو التي كانت معسكرة في بريدا بهولندا فظل فيها عامين ثم حضر تتويج الملك فردينند الثاني في مدينه فرنكفورت في ٩ سبتمبر سنه ١٦١٩ مع انه كان ممنوع دخول الاجانب الى المدينه في ايام الاحتفالات .

واخيرا قضى الشتاء في نوبرج على نهر الطونه ويرجع الى خلوته في تلك المدينة اكتشافه « اسلوبه المنطقي » الذي الهمه الله اليه كما يقول . وكان سروره بذلك عظيما حتى انه نذر الحج الى كنيسة العذراء في لوريت وكان قد بلغ الثالثة والعشرين من عمره

ترك ديكارت جيش موريس دى ناسو وتطوع في جيش دوق بفاريا فحضر موقعة الجبل الابيض التى استولى فيها الجيش على مدينة براغ . ثم انتقل الى جيش الكونت بوكوا ولما قتل الكونت وانهزم الجيش طلق ديكارت الجندية بعد ان خدم فيها اربع سنوات وعاد الى تحصيل العلوم وقد آل على نفسه « ان لا يطلب من المعرفة الا التي يجدها في نفسه وفي كتاب العالم » وهو لذلك سافر كثيراً وتجول في انحاء مختلفة مجتهدا ان يكون كشاهد اكثر مما يكون كممثل للروايات التى تمثل في العالم »

وبقي ديكارت حتى سنة ١٦٢٩ متردداً في اختيار مهنة له . واعتقد في ذلك الحين « ان لا شيء أحسن له من ان يقضي حياته

في تهذيب عقله والتبحر بقدر امكانه في معرفة الحقيقة » فاقام في هولنده بأمل ان يجد فيها العزلة والحرية اللتين هو في أشد الحاجة اليهما فمكث فيها زهاء العشرين عاماً يكتب مؤلفاته ويتخابر بواسطة الاب مرسين مع جميع علماء زمنه

وفي سنة ١٦٤٩ شخص الى ستوكهلم (بالسويد) بناء على دعوة من الملكة كرستيانة الا ان البرد كان قارصاً فمرض بذات الرئة وتوفى بها في الحادي عشر من شهر فبراير سنة ١٦٥٠ بالغاً من العمر اربعة وخمسين عاماً . ونقلت رفاته الى فرنسا بعد ستة عشر عاما فدفنت في باريس في كنيسة سانت اتيان دي مونت

(مؤلفاته) كتاب الاسلوب . وشهوات النفس — كتبا وطبعا باللغة الفرنساوية . تأملات في الفلسفة الاولى . ومبادىء الفلسفة كتبا باللاتينية وترجمها بعض اصدقاء المؤلف في حياته كتاب العالم . والانسان والرسائل طبعت بعد موت المؤلف . أضف الى ذلك مصنفاته الكثيرة في الرياضيات والعلم الطبيعي

(فلسفته) تتضمن الفلسفة الديكارتية الغرض الذي قصده والنقطة التى بدأ منها فلسفته . وأسلوبه . ورأيه في النفس . وفي الله وفي العالم . وفي علاقة النفس بالجسد .

فغرضه تشييد بناء المعارف البشرية على أسس جديدة لان المعرفة بالحالة التي كانت عليها في عصره لم ترو غليله فهي غير

مؤكدة باصولها وعقيمة بنتائجها

فبعد ان ابقى على حدة الحقائق الخاصة بالدين ووضع لنفسه بعض قواعد اخلاقية ليسلك موقتا بمقتضاها « طرح ظهرياً كلما يمكن ان يلحق به ادنى ريب كأنه غير صحيح» فحواسه وذاكرته وعقليته ، تخدعه احياناً وهو يريد الافتراض ان هذه القوى تخدعه دواما حتى انه افترض أيضاً وجود روح خبيث يسره ان يجيء له الشيء على غير حقيقة . فمبدأوه « الشك في كل شيء » انما ارتيابه هذا ليس الا وسيلة يرتقي منها للوصول الى الحقيقة

وهذه الحقيقة ممكن ادراكها وهي تتألف من أصول معدودة واضحة يجدها العقل في ذاته ولا تخرج عن ثلاث تصورات وهي الفكر والامتداد والكمال

اسلوبه يتلخص اسلوبه في اربعة قواعد اساسية وهي

أولاً — (الوضوح) للوصول الى الحقيقة « لا اسلم بصحة أي شيء الا اذا اتضح لي جلياً انه صحيح »

كل خطأ فهو اختياري ، فنحن نخطيء لان الارادة تصدق مالا يدركه الفهم جلياً

ثانياً — (التحليل) تقسيم كل صعوبة تعترض بحثي الى اقصى ما يمكن من الاجزاء لحلها على أحسن وجه

ثالثاً — (التركيب) ترتيب افكاري • مبتدئاً باسهلها معرفة مرتقيا الى الاصعب فالأصعب

رابعا — التجزئه تجزئي الشيء تجزيئاً تاما وفاحصا كل جزء على حدة بحيث لا يفوتني واحدمنها

فهذه القواعد هى ملخص أسلوب المهندسين غيران ديكارت ظن ان في امكانه تطبيقها « على جميع الاشياء التي تتناولها معرفة الناس »

(**فلسفة النفسية**) بدأ ديكارت يطبق اسلوبه على الآنية أو النفس البشرية فهو اذا شك وارتاب في كل شيء يبقى أمامه شيء واحد لا يتطرق اليه شكه وهو الفكر وقد استخلص من التفكير معنى الوجود : قال انا افكر اذن انا موجود

Cogito, ergo Sum

وعلى ذلك يكون الانسان في النفس ، والنفس ليست سوى الفكر لانه اذا فرض ان ما نسميه جسداً لا وجود له في الواقع فالروح مع ذلك تستمر في التفكير والعكس بالعكس اذا بطل التفكير انعدم الوجود حتى لو بقي الجسد في الواقع

فالفكر هو جوهر الوجود بمعنى ان الروح التي بها تظهر هويتي وتتميز آنيتي تخالف الجسم في الجوهر . فهذا مادة وتلك جوهر

وجميع طرق التفكير التي نلاحظها في ذواتنا ترجع الى طريقتين عامتين احداهما الادراك بالفهم . والآخر توجيه الارادة

فالحالة الاولى انفعالية والتغيرات التي تطرأ على الفهم عند ادراك الاشياء تدعي « صوراً idée » وهذه التصورات على

ثلاثة انواع

(١) عرضية adventice وهى التي تتولد فى النفس من مرآى الاشياء الخارجيه كالالوان والاصوات وغيرها

(٢) صناعية أو تخيلية factices وهي التي توجدها النفس بتحليل أو بتأليف تصورات اخرى ببعضها البعض كتصورجبل من ذهب وتوهم نهر من لبن

(٣) غريزية او مطبوعة innées وهي التي تجـدها النفس مهيأة في ذاتها من أصـل الخلقة ، ومن خاصتها الفكرية كالامتداد والكمال

وتدعى تلك التغيرات أيضاً « شهوات » اذا كانت مظهراً لحركات الاعضاء الباطنية وترجع الى ستة أصلية وهي التعجب أوالدهشة ، والسرور ، والكدر ، والحب ، والبغض ، والرغبة

اما عمل الارادة فعلى نوعين وهما « الحكم » الذي بموجبه نوافق أولا نوافق على عمل ما • وذات الفعل

ويرى ديكارت ان الحكم أثر من اثار الارادة فيقول ان بالعقل وحـده لا أثبت ولا أنفى أي شيء انما ادرك به معنى الاشياء التي يتسنى لي اثباتها او نفيها

فالارادة اذن لا رابطةولا حدلها . بما اننا نستطيع ان نريد أو لانريد . ونؤكدأو ننكر كل شيء

اما العقل فمحدود ،والخطأ ينشأ من عدم وجود نسبة بين

هتين القوتين اللتين تتقاسمان طبيعتنا

فالنفس تتجاوز في حكمها الاشياء التي تراها ولذلك تخطيء فلو انها حصرت تأكيداتها في التصورات الظاهرة الجلية الوضوح لما اخطأت مطلقاً

فيكون التسرع الاختيارى في الحكم هو سبب الخطأ . كما ان الارتياب او بالحري التروي الاختياري في الحكم هو التحرز من الخطأ .

والحرية معناها اننا نستطيع ان نعمل الشيء أولا نعمله. بيد ان كمال هذه الحرية في مطابقة العمل على مدركات العقل الواضحة بمعنى ان حرية الانسان تكون في العمل كما يقتضيه الحق

وللارادة الحرة قوة التأثير على نزعات النفس فتسود عليها وتصلحها أو تعدلها . ولذلك يتبرر علم الاخلاق

وقد استعار ديكارت مذهبه الخلقي من مبادىء الرواقيين كما يفهم ذلك من رسائله الى الاميرة اليصابات فالخير المطلق هو ما تستطيع عمله وتصمم على فعله وتجد مسرة في تنفيذه وهـذه المسرة تكون في ما تحكم على فعل بانه حسن وتفعله

(فلسفته فى الله) استخلص ديكارت من نفسه وتفكيره وجود الله وآتى ببراهين ثلاثة على وجوده قال :

(١) انا موجود ولست كاملاً . فانا لم أوجد ذاتي فاذن الله

موجدي فهو موجود

(٢) ان ذاتي مدركة للكمال . فالذات الكاملة هي التي اوحت الىّ بوجودها فالله اذن موجود بكماله لانى لو كنت السبب في وجودي لما تصورت فيّ نقصاً ولأعطيت ذاتي الكمال مع الوجود

(٣) الوجود ملازم للكمال وتصور الكمال يتضمن الوجود الحاضر الذي هو في الكمال فاذن الذات الكاملة موجودة

ولكى نتبين صفات الله يكفى ان نسائل انفسنا عن كل تصور نتصوره : هل من الكمال ان نحوزه أم لا

وبذلك ينتفى من رؤية الله كل تركيب وبالتالى كل مادة فالله ليس مثلنا مركب من امتداد وفكر انما هو فكر صرف

وأهم صفات الله ثلاثة وهى القدرة او الحرية المطلقة والثبات أو عدم التغير . والصدق

(١) الله مطلق الحرية وقادر على كل شيء لا حصر لارادته وما الصدق والكذب . والخير والشر الا من خليقته • وقد تكون الرياضيات وعلم الاخلاق غير ماهى عليه لو اراد الله ان لا تكون كذلك . . والحقائق المنطقية والرياضية المحتمة علينا ليست الا عرضية بالنسبة له . كذلك كل موجود مرتبط بارادته الحرة وما العالم بباق الا لان الله حافظ له وهذا الحفظ كخلقة مستمرة

(٢) اذا كان ينافي الكمال الالهى تعلق الله بقوة خارجة عن ارادته الذاتية كذلك أيضا ينافي كماله الافتراض بانه يمكن ان يغير في اوامره فهو اذن ثابت غير متغير والحقيقة ايضا واحدة لا تتغير • وهذا الثبات الالهي يظهر في العالم بوجود النواميس المنظمة له على حالة واحدة وعلى الخصوص قوانين الحركة العامة التي لاتفارق حركة واحدة

(٣) كذلك أيضاً ينافي كماله الافتراض بانه يريد خداعنا ولذلك تظهر لنا الحقيقة كما هى بغير تبديل لانها مؤسسة على الصدق الالهى

(**العالم الطبيعى**) وعلى نظرية الصدق الالهى توصل ديكارت الى اثبات وجود العالم الطبيعي :

فالعالم يتكون من الامتداد . اما جميع الصفات الاخرى كاللون والصوت والرائحة الخ لا توجد فيه بل في نفوسنا لانها في الحقيقة ليست سوى معانى حسية ونتيجة ذلك تفسير العالم بقضية هندسية وميكانيكية

فطريقة ديكارت في الطبيعة طريقة بديهية بها تتولد النتائج عن الاسباب أو المعلولات عن العلل ، فعوضاً عن ملاحظة العالم كما يتراءى لنا . يخلقه من جديد بواسطة الفكر ولا يستخدم التجربة الا لتحقيق الافتراضات التفصيلية

يبعث الله الحركة في الامتداد وباستمرارها بتألف الكواكب وتتحرك وتتوازن . والنبـاتات والحيوانات تنتظم وتعيش وتنتج انواعها

وليس من الضروري افتراض وجود علل غائية .

فالحركة الاولى بقوانينها الحافظة لها والمهيمنة عليها تكفي لتفسير كل شيء . والكون آلة لا يلتفت النظر الا الى اشكالها وحركاتها . والحياة الظاهرة آلية . وما البهائم الا آلات متحركة بذاتها لا نفوس لها لان ارواحها ليست سوى اجزاء دقيقة من الدم تحركها حرارة القلب

اما أهم المباديء الطبيعية فهي

١ً — كل شيء يثبت على الحالة التي هو عليها طالما لا يطرأ عليه شيء آخر يغيره

٢ً — كل جسم يتحرك يميل بذاته الى التحرك في اتجاه مستقيم

٣ً — كل جسم يصطدم بجسم اقوى منه يفقد اتجاهه وليس حركته

٤ً — كل جسم يتقابل بجسم آخر أضعف منه وقادر على تحريكه يفقد من الحركة بقدر ما يعطيه منها لذلك الجسم

٥ً — مقدار الحركة تظل كما هي بدون زيادة ولا نقصان

(علاقة النفس بالجسم) يرى ديكارت ان الفرق في الصفات

الجوهرية يستلزم التمييز بين الجواهر . فاذن تتميز النفس عن الجسد الا ان هذين الجوهرين متحدان بالقدرة الالهية . ومستقر النفس في الغدة الصنوبرية الكائنة في وسط المخ . ومنها تتشعع في سائر اجزاء الجسم بواسطة الاعصاب والارواح الحيوية وينطبع عليها ما يأتيها من الخارج من التأثيرات المختلفة التي تنقلها اليها تلك الاعصاب . وليس لاحد الجوهرين تأثير في فعله على الآخر .

(نقد فلسفته) ليس من غرض هذا التاريخ نقد جميع النظريات التي قال بها هذا الفيلسوف . ولكننا نكتفي بابداء بعض ملاحظات

(١) ليس ديكارت مرتاباً غير ان شكه الترتيبي غير معقول ومضر .

من المسلم به ان ديكارت لعزمه على ان لا يقبل الا الحقائق التي لا نزاع فيها . نبذ كل معرفة يمكن للعقل ان يرتاب بها . ولكن هل من المعقول ان يشك في صحة قوانا . وان يقول بافتراضه بوجود روح خبيثة تخدع ؟

ان مثل هذا الشك يؤدي حتماً الى السفسطة Scepticisme ومهما كان وضوح قاعدة « انا افكر اذن انا موجود » فلا استطيع التثبت منها اذا كان عقلي مخادعاً

(٢) ان لقاعدة الوضوح التي هي اساس اليقين . موانع خطيرة فالوضوح في نظر ديكارت شيء باطني وبذلك لا يكون اليقين الا تبعياً . بالاضافة الى المفكر . فمن ذا الذي يؤكد لنا مطابقة ذات الشيء على الفكر الخاص به :

يقول الفيلسوف . ان الصدق الالهي هو الضامن لهذه المطابقة فكأنه لا يسلم الا بالوضوح النظري . ويميل الى جعل جميع القضايا الفلسفية مهما كانت الى مسألة علاقة بتعلق أو بالحرى الى ان يطبق الطريقة الهندسية على جميع الموضوعات ويهمل طريقة الاستقراء .

فخطر قاعدة الوضوح كما وصفها ديكارت هي ان يحمل العقل على نبذ كل سلطة فلا يسلم الا بالوضوح الذاتي الشخصي

٣ — جهل ديكارت وحدة المركب الانساني والشخصية البشرية جعلها اثنينية

فيقصر الروح على الفكر . والجسم على الامتداد . جرد هذين الجوهرين من كل عمل شخصي ومهد الطريق للمذهب الحلولي الذي يزعم ان الله دون غيره هو الموجود . وان الله وحده هو الفاعل

كذلك نظرية الحكم والخطأ . ونظرية الافكار الغريزية • وتحرك الحيوانات الآلي . كل هذه اظهر معظم الفلاسفة خطأها غير ان مجد ديكارت في مذهبه الروحاني وفي التكهن

بالقوانين الطبيعية الحديثة كما انه هو أول من طبق الجبر على الهندسة

خلفاء ديكارت

٦٣

ارنو (١٦١٢ — ١٦٩٤) Arnauld

ونيقول (١٦٣٥ — ١٦٩٥) Nicole

هما مؤلفا منطق بورت رويال

فهذا المنطق الذي اختلطت فيه مباديء ديكارت مع مباديء ارسطو له شهرة يستحقها ومقسم الى اربعة اقسام تبحث في المعاني وفي الحكم وفي التعليل وفي الاسلوب

بسكال (١٦٢٣ـ١٦٦٢) B. Pascal

ولد في كليرمون وكانت له يد فعالة في النضال الذي اقامه الجانسنست ضد اليسوعيين

وقد اشتهر بسكال بذكائه وفطنته وثاقب فكره . ويجب

ان نميز زمنين في حياته الفلسفيه

ففي المدة الاولى (١٦٢٣ — ١٦٥٤) كان متشيعاً لمذهب ديكارت وكان يفرق بين الايمان وبين العقل وقد مجد العقل وقوته ورقيه

وفي المدة الثانيه (١٦٥٤ — ١٦٦٢) كان متشيعاً لجانسنيوس واوجد باباً للشك . وكان يخفض من قيمة العقل ويشنع بالطبيعه البشرية

.

بوسويه (١٦٢٧ — ١٧٠٤) Bossuet

هو اسقف مو . وقد استعان بنظريات ارسطو والقديس توما وديكارت لتعليم ولي عهد فرنسا واهم كتبه . كتاب حرية الاختيار وكتاب المنطق « ومعرفة الله والنفس »

وهذا الكتاب الاخير يحتوي على خمسة فصول تبحث في النفس وفي الجسم وفي اتحاد النفس بالجسد . وفي الله . والفرق العظيم بين الانسان والحيوان

ولو ان بوسويه متأثر بفلسفة ديكارت الا انه يخالف هذا الاخير في بعض مسائل منها انه يقول باتحاد النفس بالجسد اتحاداً جوهرياً ويشرح شرحاً مستفيضا العلاقات التي بينهما اما في مسألة نفوس الحيوانات فانه يمنحهم نفساً حسيه

فنيلون Fenélon

هو مطران كمبراى له جملة كتب فلسفية اهمها كتاب «وجود الله وصفاته » قسمه الى قسمين

شرح في القسم الاول أدلة وجود الله من النظام الحسن الذي يسود في العالم . ودحض مذهب ابيقور

واتبع في القسم الثاني اسلوب الشك الترتيبي وابان البراهين على وجود الله من المعاني العقلية ودحض مذهب اسبينوزا الحلولي ثم ختم الكتاب بفصل بليغ في ماهية الله وصفاته

ومن رأي توماس ريد أن شرح فنيلون للاسلوب الشكى الذى ابتكره ديكارت هو أوفي وأظهر شرح

كلارك (١٦٧٥ — ١٧٢٩) Clarske

هو فيلسوف انجليزي تخرج من جامعة كمبردج وكان تلميذا لنيوتن . ومن رأيه ان المكان والزمان من صفات الله واستخلص من هذين المعنيين برهاناً جديداً لاثبات وجود الله . غير ان ليبنز ناقضه في ذلك

٦٤

ملبرانش . (١٦٣٨ — ١٧١٥) Malbranche

ترجمته : ولد نقولا ملبرانش في باريس واندمج في سلك رهبنة اخوية الاوراتوار وعمره اذ ذاك اثنين وعشرين سنة . وكانت قرأته لكتاب ديكارت «في الانسان» الباعث له على اعتناق الفلسفة . وبعد دراسته للعقيدة الديكارتية نحو العشرة سنوات كتب مؤلفاته التي هذب فيها نظريات زعيمه . وأحياناً كان يناقضها .

وطالما جادل علماء عصره نذكر من بينهم بوسويه وارنو .

مؤلفاته : أهم مؤلفاته هي : كتاب الطبيعة والنعمة . وكتاب مباحث في العلم النظري والدين . وكتاب في الاخلاق . ثم كتاب البحث عن الحقيقة مقسما الى ستة أبواب تبحث في الحواس . والتخيل . والعقل . والميول . والاهواء . والاسلوب

وجميع مؤلفاته هذه كتبت بانشاء جزل ،وأسلوب راقي ، وفكر عال ، تؤثر في نفس القاريء كما أثر كتاب الانسان لديكارت في نفس ملبرانش

ويعد ملبرانش فيلسوفاً نظرياً واخلاقياً

أما مذهبه اللاطبيعي فيتلخص في ثلاثة نظريات وهي الابصار في الله . والعلل العرضية . والتفاؤل الحسن

(١) الابصار في الله Vision en Dieu

يقول ملبرانش اننا نعرف اربعة انواع للكائنات وهي الله . ونفسنا . والارواح الاخرى . والجسم

فالله يعرفنا بذاته ونبصره مباشرة لانه لا يوجد أي مثال يمثل ذاته العلية .

ونعرف أنفسنا بالوجدان أو بالشعور الذي نحس به بتغيرات تلك النفس .

ولا نعرف باقي الارواح الا بطريق الظن أو المقارنة . أما الاجسام فنعرفها بمثلها

ولكن يجب التمييز في هذه المثل بين « الشعور » الذي هو حالة من حالات نفسنا وأوجده الله فينا ، وبين المثال المعرف فمن أين يأتي لنا هذا المثال .

يقول ملبرانش « انه من الضروري حتماً ان هذه المثل اما تأتي من الاشياء المادية . واما ان للنفس قوة لابتكار هذه المثل كما ذهب الى ذلك ديكارت . ولكن يصعب على النفس ان تتخيل صور أشياء مادية لا وجود لها كما ان المصور لايستطيع ان يرسم على لوحته أشياء لم ترها عينه من قبل

واما ان الله أوجدها في نفسنا وقت خلقتها . بيد انه كيف يسوغ افتراض خلق مُثُل لاعداد لها بينما توجد طريقة ابسط من ذلك تليق بجلال الخالق في ايجاده من العدم تلك المثل

واما انه يوجد هذا المثال في ذات الوقت الذي تفكر فيه بشيء ما — ولكن يجب ان تكون الاشياء التي نفكر بمُثُلها موجودة. واما ان النفس تجد في ذاتها جميع الكمالات التي تراها في هذه الاجسام . وهذا يستحيل لانه لا يوجد تشابه بين كمال النفس وبين جواهر الاجسام

بقي الحل السادس وهو ان النفس متحدة بذات كاملة . تتضمن جميع مُثُل المخلوقات وهذه الذات تكشف للنفس عن تلك المثل لمناسبة التأمل فيها

فهذا الحل هو الانسب ويدعى ذلك الابصار في الله فحقيقة الاشياء الظاهرة ليست مؤكدة لنا الا بالوحي

(٣) العلل العرضية

كما ان الله دون غيره موضوع المعرفة كذلك هو أيضاً العلة الحقيقية الوحيدة .

لم يكن الامتداد في نظر ديكارت سوى الاستعداد لقبول الحركة . ولا قدرة له على التجزء الى ما لا نهاية . وينتج عن ذلك ان الجسم غير كفء لان يؤثر على جسم آخر وان المادة منفعلة

بنوع عام

كذلك الفكر لا يمكن له التأثير . وقد قال ملبرانش في كتابه « البحث عن الحقيقة » انه لا يمكن للاجسام ان تكون علة حقيقية لاي شيء كان . وكذلك الارواح مهما كانت سامية فليس لها قوة ما »

فالنفس لا تفعل بل تنفعل . وبداهة لا تؤثر نفس على نفس كما يرشدنا اليه عقلنا . غير ان الاختبار أظهر لنا عكس ذلك فكيف نفسر هذا التناقض ؟

لم ينكر ديكارت اتصال الجواهر بعضها البعض . ولكنه صرّح بأنها منفصلة عن بعضها بدون ان يرشدنا الى كيفية اتصالها

أما ملبرانش فقد ذهب الى ابعد من استاذه . فانه وضع نصب عينيه تعاريف ديكارت في النفس والجسد واستنتج منها عدم قدرة الفكر والامتداد على العمل بالذات

هنا تتداخل الذات العلية لحل مسألة اتحاد النفس بالجسد . فالله وحده مصدر الحركة وهو العلة الفاعلة لكل ما يحدث . اما الخلائق ، عديمة الحركة ،فهي أسباب عرضية حدثت اتفاقاً بفعل الله .

فلمناسبة الاحساسات والافكار والرغبات النفسية . يثير الله الحركة في الجسم . ولمناسبة حركات الجسم يبث الله في النفس الاحساسات والافكار والارادات .

فكل من ينظر الى العالم نظرة سطحية يرى ان لكل شيء سبب . اما من يتأمل ويتمعن فلا يجد سوى الله علة كل شيء وعدة اتفاقات أو بالحري حوادث عرضية فلا ينبغي ان يتصور الانسان ان الله يعطي قدرته للخلائق ويجعلها اسباباً حقيقية تفعل في غيرها كما لو كانت آلهة

فبهذه النظرية أوجد ملبرانش هوة سحيقة تفصل النفس عن الجسد وعوضاً عن ان يفسر اتحادهما يقول ان كل اتحاد بينهما محال .

(٣) نظرية الاستحسان Optimisme

لما كان على الله — على رأي ملبرانش — ان يعمل كل شيء لمجده اضطر بالطبع ان يختار بين جميع العوالم الممكن ايجادها ، احسنها أو اكثرها استعداداً لاظهار كمالاته

غير انه في اختياره راعى المسالك التي يسلكها كما راعى ذات العمل الذي يعمله . فينبغي ان تكون تلك المسالك كما يكون العمل . تُظهر آثار حكمته أو بعبارة أخرى قد فضل أحياناً ان يعمل عملاً حسناً — ولو كان قليلاً بذاته — بالطرق الاكثر سهولة وبأعم النواميس وأكثرها انتاجاً ومن هنا نشأ أصل الشر الذي نلاقيه في الوجود

نظريات الاخلاقية

ترتبط نظريات ملبرانش الاخلاقية بنظريته في المعرفة . التي تتلخص في ان تصوراتنا هي تصورات الله ذاته فالتصورات المفهومة الموجودة في الكلمة يوجد بينها نوعان من العلاقات وهما علاقات عظمة وعلاقات كمال . وعلى هذه العلاقات الاخيرة دون غيرها يبني ملبرانش نظرية الخير الادبي

فالله بمحبته الضرورية لذاته يحب الاشياء بنسبة درجة الكمال التي تتصف بها تلك الاشياء . واننا اذا سرنا على هذا المثال فان ارادتنا تكون صالحة ان احببنا كما نحب الله

والنظام يكون في وجود علاقات الكمال بين الكائنات فاذن المحبة بحسب العلاقات هي محبة النظام. وعلى ذلك يُعرّف ملبرانش الفضيلة بانها محبة النظام الدائم محبة متواصلة فوق كل شيء .

وتطابق نظرية الارادة ، نظرية الفهم . فكما ان الله علة عقلنا وغرضه . هو أيضاً علة حبنا وغايته . فحب الخير أو الارادة فينا ليست سوى دافع الحب الذي به يحب الله ذاته كما ان معرفة الحق ليست سوى اتصال التصورات التي بها يعرف ذاته

ان رغباتنا الخاصة هي السبب العرضي للخير الذي يتولد فينا كما ان انتباهنا هو السبب العرضي للنور الذى يضيء نفسنا . وليست الحرية التي لنا الا مقدرتنا في حصر عملنا على الخيرات الخصوصية

نقد فلسفته وصف بوسويه خلاصة آراء ملبرانش في كتاب الطبيعة والنعمة بانها «عجيبة . جديدة . مضلة» Pulchra, nova, falsa ويمكن تطبيق هذا الحكم على مجموع نظريات ملبرانش · نعم ان لا نزاع في سمو أفكاره ورشاقة اسلوبه ولا بدع اذا لقبوه بافلاطون المسيحي · غير ان مذهبه يتضمن بدع خطيرة لا ينبغي الاخذ بها

فعلى زعمه ان وجود الاجسام لا يسند لا على العقيدة الفطرية ولا على البراهين الفلسفية · وعقلياً ربما لا توجد جواهر مادية بل حقائق تصورية خارجة عنا ويوجد فينا تصورات ذاتية تمثلها وهذا هو المذهب المثالي

ومن وجهة أخرى لا تستطيع خليقة ان تؤثر على خليقة أخرى لان الله وحده هو الفعال في الطبيعة وفي الانسان · والانسان الذي « ليس بفاعل بل مفعول فيه » هل له وجود خاص حقيقي ؟ أليست العلة الوحيدة هي الموجود الوحيد والجوهر الفرد ؟

هذه أول خطوة لنظرية المذهب الحلولي

٦٥

سبينوزا (١٦٣٢ — ١٦٧٧)

Spinoza

ولد باروخ سبينوزا في امستردام من عائلة اسرائيلية برتغالية الاصل · ولما شجبته المشيخة اليهودية عام ١٦٣٦ نظراً لارائه الحرة اضطر لهجر وطنه والنزوح الى مدينة الهاي واستبدل اسمه باسم بنديكت فقضى حياته بقناعة وكفاف مشتغلا في الزجاج للنظارات ، رافضاً المعاش الذي رتبه له صديقه جان دي ويت ، والميراث الذي أوصى به سيمون أريس · ولم يقبل أيضاً وظيفة التدريس في جامعة هيدلبرج حباً في الاستقلال الذي كان ينشده · ومات مصدوراً في ٢٣ فبراير سنه ١٦٧٧ غير متجاوز الرابعة والاربعين من عمره · وفي عام ١٨٧٧ أقيم له نصب في أحد ميادين الهاي يمثله جالساً متعمقاً في افكاره

(مؤلفاته) لم ينشر سبينوزا في حياته سوى كتاب مبادىء الفلسفة الديكارتية على نسق هندسي وكتاب اللاهوت السياسي ثم قام اثنان من أصدقائه في العام الذي توفى فيه بطبع كتابه

الاخلاق Ethica مؤلفاً على شكل نظريات هندسية ومقسماً الى خمسة أقسام تبحث في ذات الله • وماهية الروح ومصدره • وماهية الشهوات ومصدرها • والرق البشري أو قوة الشهوات وقدرة العقل أو الحرية الانسانية

وله أيضاً كتاب في السياسة وآخر يشتمل على رسائله الخصوصية

(فلسفته) يرفض سبينوزا المذهب التجريبي رفضاً باتاً ورأيه ان العلم الحقيقي لا يدرك الا بالعقل المجرد بداهة ويرتقي بالتعليل الهندسي .

وتتلخص فلسفته في أربعة أقسام : نظري • ونفسي وخلقي وسياسي

الفلسفة النظرية : اول موضوع يتلقنه العقل بداهة هو معنى الكائن او الجوهر لان هذين المعنيين على رأي سبينوزا مترادفان •

قال ديكارت « ان الجوهر هو الكائن في ذاته والمدرك بذاته اي الذي لا يحتاج لشيء آخر لوجوده »

وكان انصاره يفسرون هذا التعريف للجوهر تفسيراً مستقيما ويعارضونه بالحال Modalité

ولكن سبينوزا اخذه بمعنى مطلق للكائن الذي له في ذاته علة وجوده • فهو علة نفسه Causa Sui والذي « يفهم معناه

بدون احتياج لمعنى شيء آخر » واستنتج من ذلك ان هذا الكائن ازلي سرمدي

فاذا كان هذا الكائن سرمدياً غير متناه فيجب ان يكون أيضاً واحداً لا ثان له . لان وجود اثنين حقيقين غير متناهيين غير معقول والقول بوجود جواهر متناهية ، مخلوقة ، محال

لانه اما ان يكون للجوهر الخالق والجوهر المخلوق صفات متباينة واما ان تكون لهما صفات واحدة ففي الحالة الاولى ينتج السبب ما ليس منه وهذا متناقض . وفي الحالة الثانية لا يمكن تمييز الجواهر بعضها عن بعض بما ان اختلاف الصفات هو الاساس الوحيد في التمييز بين الجواهر .

فهذا الجوهر الوحيد السرمدي يظهر لنا بصفات تمثله لنا باكمله •

ويريد سبينوزا بالصفات « مايستخلصه العقل من الجوهر بأنه المكون لروحه أو هويته »

فهذه الصفات لا نهائية غير ان لا نهائيتها اضافية تبعية لانها تدل على الجوهر من وجهة خاصة واحدة .

وهي لا عداد لها لانها تدل على جوهر غير متناه وغير فان والصفات ذاتها تظهر علي شكل حالات متناهية ولكن باعداد غير متناهية

ويريد سبينوزا بالحالة ما يطرأ على الجوهر من التغيير أو ما

يوجد في شيء ما ولا يدرك الا بذاك الشيء »

فلو كانت الحالات لا نهائية لكانت الصفات ذاتها جواهر .

ولو لم تكن أعدادها غير متناهية لما كانت تمثل اللانهائية النسبية للصفة

فالجوهر والصفات والحالات متباينة ولكنها غير منفصلة عن بعضها البعض لان الجوهر من طبيعته ان ينمو بالضرورة بصفات لا نهائية لا عدد لها وتتعدل وتتغير بغير تناه

فهذه الجملة على رأي سبينوزا تفسر معنى الله

ونحن لا نعرف من صفات الله الغير محدودة سوى اثنتين وهما الفكر والامتداد ، بمعنى ان الله بالنسبة لنا هو الكائن المفكر والمنتشر بدرجة لا نهائية

فصفتي الفكر والامتداد تنتشران بالضرورة في عدد غير محدود من الحالات المتناهية وهي النفوس المفكرة . والاجسام المنتشرة .

وهاتان المجموعتان للحالتين المتقابلتين مترابطتان متلازمتان بمعنى ان كل فكر تقابله حركة وكل حركة يقابلها فكر . فهما وجهان غير منفصلين لوجود واحد ينمو بالضرورة وبدون غاية أما الاوجه الاخرى المتعددة فلا نعرفها

فالله يمتزج اذن بالطبيعة . ولكن يمكن التمييز بين الطبيعة الطابعة Natura naturans أي الجوهر أو العلة الفعالة المطلقة لكل

المظاهر . وبين الطبيعة المطبوعة natura naturata أي مجموع الحالات التي يتكيف بها الجوهر الغير متناهي ، المفكر الممتد

ولا يسلم سبينوزا مطلقاً بوجود علل غائية اذ يقول «الكائن السرمدي الغير متناهي يفعل كما هو كائن بضرورة متساوية» . .

« وان ما ندعوه علة غائية ليس الا الرغبة التي لنا في شيء ما . »

« نفترض أحيانا ان الطبيعة تعمل لغاية وتتخذ رغباتنا مقياسا للاشياء »

علم النفس يمزج سبينوزا الروح بالجسم ويعتبرهما واحداً فيرى ان النفس البشرية ليست في الواقع الا مجموعة من حالات الفكر الالهي . وما الجسم الا مجموع من حالات الامتداد اللانهائي . وهاتان المجموعتان — المتميزتان عن بعضهما البعض بالنظر الى انهما يمثلان الكمال الالهي في مظهرين مختلفين — هما متماثلان بالنظر الا انهما يمثلان ذلك الكمال في وقت واحد من أوقات نموه الازلي

والنفس — وهي جاهلة العلل التي تدفعها الى العمل — تظن انها حرة بيد انها « تحلم في اليقظة »

انها ليست حرة ولا هي « مملكة في مملكة » بل هي آلة روحية . وليس لها وحدة حقيقية لانها فكر مؤلف من جملة

أفكار كما ان الجسم مجموع ذرات ممتدة

وهي ليست خالدة بما انها شكل عرضي زائل للجوهر الابدي. ولا يعترف سبينوزا لتلك النفس بقوى متمايزة اذ لا شيء حقيقي خارجا عن الفكر. والتأكيد بوجوده هو الارادة فلا فكر بغير ارادة • ولا ارادة بدون فكر

اما الاهواء والشهوات فهي ليست الاميولاً الغرض منها خير الجسد والنفس . فالهوى المدرك يدعى رغبة • واذا تحققت الرغبة صارت فرحا • اما اذا لم تتحقق دعيت غماً

واذا أضيف الى ذلك الهوى فكر خارجي سمي حباً أو كراهة

علم الاخلاق : يدعو اسبينوزا كتابه « الاخلاق » بالرغم عن مذهبه الجبري : وهذه خلاصة اخلاقياته :

يميل كل كائن الى حفظ كيانه • هذا هو المبدأ الاساسي • وللنفس درجة معينة في الوجود وفي الكمال وتميل بذاتها الى استبقاء كيانها ونموه

وكل زيادة في نمو النفس أو كمالها ويسبب لها فرحا ويكون لها نافعا يدعي خيراً • وكل نقص في ذاك النمو أو الكمال فيسبب لها حزنا او يضر بها يدعى شراً

واذ تقرر ذلك تكون النفس ـ التي من أهم صفاتها التفكير ـ

اكثر كمالا طالما كان موضوع فكرها كاملا

كمعرفة الله • ومحبته • والحياة فيه • كل ذلك في نظرها كمال الحياة لان هذه الحياة تهب كيانها اكثر مما تهب حياة أخرى وتنيلها الرغبة الاساسية التي فطرت عليها • وقال ان غاية المعرفة الوصول الى كمال الطبيعة البشرية • كما ان الفرق بين الكامل والناقص • او الخير والشر هو معنى اضافي لان ذلك سبب للتفكير والاستدلال بمقارنة الاشياء ببعضها البعض « فلا شيء يضر في مسكن جوبتير »

والشيء يكون خيراً أو شراً تبعا لنفعه او لضرره للانسان

وبمعنى آخر كل ما يزيد أو ينقص قدرتنا على العمل — ويساعدها او يباعدها ، يعد خيراً او شراً وبالتالي يسبب لنا فرحا او غما •

ولما كان كمالنا بعقولنا فيجب ان نرقي العقل ونوسع الادراك فنحصل اذ ذاك على اغتباط النفس ومسرتها • وما الغبطة في الواقع الا راحة النفس الناشئة عن عرفان ذات الله وصفاته وهذا هو سر الفضيلة والسعادة

ثم قال سبينوزا في موضع آخر من كتابه « فالاصول التي ذكرتها تدل صراحة على فضل الحكيم وعلو قدره على الجاهل الذي

تقوده شهواته العمياء . فتتلاعب به الاهواء فلا يجد لنفسه سلاما فيهملها وينسى خالقه ويجهل الاشياء المحيطة به . ويكون الوجود والعدم في نظره سواء ، بعكس الحكيم الذى لا يمس الاضطراب نفسه اذ بالضرورة يدرك ذاته ويدرك صفات الله وما يحيط به من الاشياء فيحصل على الدوام على سلام النفس

كل كائن بصفته جزء من الله يتمتع بحق عمومي يقاس على قدرته تماماً . وبذلك نشأت حالة حرب شديدة ولو انها طبعية .

فلتجنب ذلك الف الناس الحكومة أساس كل عدل وكل ملكية

ولكي يتحرر سبينوزا من مذهب هوبس الاستبدادي اجتهد ان يبرهن على ان السلطة لا يمكن ان تكون قوية الا اذا أحترمت، ولا يمكن ان تكون محترمة الا اذا كانت ضمن الحدود المعقولة، ولا تكون كذلك الا اذا تركت الناس ناساً أي تترك لهم حرية الرأي »

ثم اضاف الى ذلك قوله « اذا كان كل شيء موكولا لارادة شخص واحد . فلا يمكن وجوده على حالة واحدة »

(نقد فلسفة سبينوزا) لهذه الفلسفة جميع أغلاط المذهب الحلولى : فطريقته يأباها العقل اذ يرفض التجربة ويبدأ بتعريفات تحكمية . ويمثل لنا الله بآراء متناقضة أي ممتد ومفكر وبسيط ومركب أما الانسان فينكر عليه الحرية والشخصية والخلود الروحي .

كذلك ليس لمذهبه الاخلاقي الصفة الالزامية . وسلطة الحكومة هي بالضرورة استبدادية ومطلقة

ثالثا – المدرسة الانتخابية

٦٦

ليبنز

Leibniz

في أواخر الجيل السابع عشر آل مذهب «بيكون» التجريبي الى مذهب «لوك» الحسي. وتحول مذهب «ديكارت» العقلي الى رأي ملبرانش التصوري

وفي وسط النضال الذي قام بين هذين المذهبين المتناظرين المتطرفين قام «ليبنز» الالماني يناضل الواحد والآخر ليسد الثلمات التي أوجداها بمذهب جديد يحاول فيه التوفيق بين افلاطون وديموقريطس، وبين ارسطو وديكارت وبين المدرسيين والمحدثين. ويوفق العلم الالهي والاخلاق مع العقل

ولد جودفروا غليوم ليبنز في أول يوليه سنة ١٦٤٦ في مدينة ليبزج وكان أبوه متشرعاً ومدرساً للفلسفة الاخلاقية في جامعة تلك المدينة.

درس الحقوق والتاريخ والسياسة وعلم اللغة والرياضيات والفلسفة بكل سهولة ولكنه كان نابهاً في العلمين الاخيرين

وفي سنة ١٦٦٧ تعين مستشاراً لمنتخب «ماينس» وظل في وظيفته حتى سنة ١٦٧٢ ثم سافر في مهمة سياسية الى باريس وظل فيها اربعة أعوام تعرف على كبار مفكريها. وانتقل الى هولندة فتقابل مع سبينوزا ثم رحل الى انكلترا حيث كانت له فيها علاقة بجمعياتها العلمية.

وفي سنة ١٦٧٦ عينه الدوق دي برنسويك اميناً لمكتبة هنوفر فبقي متقلداً منصبه زهاء الاربعين عاماً الى ان توفى عام ١٧١٦

كان ليبنز صديقاً ومشيراً لدوقات هنوفر وله ضلع في جميع الحوادث السياسية، واليه يرجع فضل تأسيس جامعة العلوم ببرلين وقد حاول برسائله المتعددة مع بوسويه تقريب الكنائس الكاثوليكية والبروتستانتية بعضها البعض. وكثيراً ما استنار قيصر الروسيا بطرس الاكبر، وامبراطور النمسا بمشوراته وآرائه السديدة

كان عالماً بكل العلوم ويعد دائرة معارف لا يضارعه فيها الا ارسطو، كما ان مؤلفاته كانت كثيرة بيد ان اهمها ثلاثة وهي:

١ً — البحث الجديد في العقل البشري ظهر سنة ١٧٠٤

٢ً — مقالات لاهوتية في صلاح الله وحرية الانسان

ومصدر الشر ظهرت سنة ١٧١٠

٣ — نظرية الجواهر الروحية **Mondologie** طبع سنة ١٧١٤

فالكتاب الاول يعارض به كتاب « لوك » في الموضوع ذاته . ويتضمن الكتاب الثاني عقيدته في مذهبي الجبر والتفاؤل . ويشتمل الكتاب الثالث على موجز فلسفته

وله عدا ذلك مقالات ممتعة نشرت في جريدة العلماء تبحث في « المعرفة • والحقيقة • واصلاح الفلسفة الاولى • ومعنى الجوهر » أضف الى ذلك رسائله مع الفيلسوفين ارنو . وكلارك

وقد حاول عقد تحالف بين القطر المصري وبين فرنسا بخطاب ارسله الى لويس الرابع عشر . كذلك توهم ان يوطد السلام العام بين جميع الممالك المتحالفة تحت سلطة الامبراطور الزمنية . وسلطة البابا الروحية .

وان تنشأ لغة عامة لجميع الشعوب تؤسس على قاعدة مشابهة للرموز الجبرية

(فلسفته) توصف فلسفة ليبنز بانها انتخابية مختارة من آراء الفلاسفة المتقدمين وادمجها في سلك واحد

وكانت فلسفة ديكارت الاساس الذي بنى عليه ليبنز مذهبه الجديد بعد ان عدل اساليبها واصولها حتى لا يقع في أغلاط سبينوزا

نظرية الجواهر : (١) ماهيتها

قال ديكارت ان جوهر المادة الروحية هو الفكر وجوهر المادة المادية في الامتداد

فناقض ليبنز الشطر الاخير من رأي ديكارت وقال : الادعاء بان المادة ليست سوى امتداد ، هو الحكم على الكون بالجمود والخمول . ونكران وجود القوات الطبيعية ، ونسبة جميع الظاهرات الحسية الى فعل الله . فيؤدي كل ذلك الى مذهب سبينوزا الحلولي

وقد نشأ الخطأ الاصلي لمذهب ديكارت من الخطأ في تعريف الجوهر ولذلك صححه ليبنز بقوله ان حقيقة الجوهر هي القوة كما يمثلها لنا وجداننا وكما نتمثلها في الاشياء بطريق المقارنة

القوة هي كل الوجود يتوافق فيها الواحد والكثير ، الممكن والواقع . وهي ليست خاصية تحتاج الى دافع خارجي للتحول من امكان حصول الشيء ، الى حصوله فعلاً . انما هي استعداد دائم للفعل تعمله بغير انقطاع بفضيلة خاصة بها

وهذه القوة بسيطة بطبيعتها ولها فعل ذاتي صرف وغير قابلة للتلاشي بطبيعتها وهي واحدة بالجوهر ولذلك اطلق ليبنز عليها اسم **Monade** أي واحدة

والوحدات **Monades** لا حصر لعددها أو بالحري لاعداد

لها وكلها مختلفة عن بعضها . لانه لو كان يوجد شيئآن لا يتميزان عن بعضهما البعض لما وجد الله سبباً كافياً لان يخلقهما في ازمنة وامكنة مختلفة

ولكل الوحدات الروحية المذكورة خاصتان وهما «الشوق appétition والتمثيل Perception

فالشوق ميل شديد للتغير ، اي التحول من تمثيل لآخر .

والتمثيل هو ادماج الشيء الظاهري في الباطني وتخيل المركب في البسيط والتعدد في الواحد

ولكل وحدة روحية خاصة التشكل بجميع الكائنات الممكن وجودها وبذلك تكون ممثلة للكون باجمعه . ولكنها مع ذلك لا تدرك مباشرة سوى ذلك الجزء من العالم الذي له علاقة مباشرة بالجسم (١) الذي هي له الكمال والغاية entelechie

(٢) **انواع الوحدات** — للوحدات الروحية درجات متعددة سائرة الى الكمال ، غير ان وحدات هذا العالم تنقسم

---

(١) لكل وحدة ولو كانت ملائكية — — جسم ما عدا الذات الالهية

الى ثلاث طوائف وهي

أولاً — الذات البسيطة او العادية يكون التمثيل فيها مشوشاً مبهماً لا ادراك له وتتألف الاجسام من هذه الوحدات

ثانياً — الوحدات الراقية ذات ادراك وتذكر . وهي نفوس الحيوانات ، وتمثيلها يطلق عليه لفظ « احساسات » تستمر على التكرار فتظهر كسلوك صادر عن تعقل وترو

ثالثاً — الوحدات السامية التي يصحب تمثيلها فهم أي معرفة الحقائق العامة الضرورية . وهي النفوس البشرية وتمثيلها يدعى « ادراك الادراك aperception أي انها تدرك الاشياء وتعلم انها تدركها .

ويفعل الله بالنوعين الاولين كما يستعمل المهندس آلته ويعامل النوع الثالث حافظاً شخصيته ومرتقياً درجات الكمال

وجميع الانواع الثلاثة وجدت منذ بدء الخليقة

علاقة الوحدات الروحية ببعضها البعض

باتحاد الوحدات البسيطة ببعضها البعض تتألف الاجسام الجامدة .

والاجسام العضوية هي مجموع افراد سادت عليها واحدة منها ووحدت بينها

اما الوحدات السامية فبانضمامها الى الاجسام العضوية يتركب

الانسان . غير ان تلك العلاقات التي تؤلف بين جميع الوحدات تنشأ عنها صعوبات كثيرة

قيل ان الاجسام ممتدة . فكيف يفسر هذا الامتداد اذا كان كل مادة مركبة من عناصر بسيطة ؟

يجيب ليبنز على ذلك ناكراً ان الامتداد خاصة حقيقية للمادة فما هو الا الحالة التي تتمثل بها القوات الموجودة معها ولنا بها علاقة فهذه القوات — اذا اعتبرت في ذاتها — ليست ممتدة ولا متجزئة . وانما تنظيم هذه القوات وعلاقتها باعضائنا تظهر لنا بما ندعوه امتداداً

لم يمس ليبنز جميع مبادىء ديكارت الخاصة بتفسير الظاهرات الحسية . ولكنه لم يسلم بالتحرك الآلي الصرف لان هذا التحرك لا يبين سبب الحركة . فقال ليبنز ان السبب يوجد في القوة الحاصلة عليها كل الكائنات بدون استثناء

كل وحدة تنمو تبعاً لقانون خاص بها ولا يمكنها ان تؤثر باي حال على وحدات اخرى ، فكيف امكن اذن وجود تآلف وتجانس بين مجموع الوحدات المختلفة

يجيب ليبنز على ذلك بان نمو كل وحدة ملازم لنمو الوحدات الاخرى وبنا على هذا المبدأ تعمل الوحدات المتحركة التي تتألف منها الاجسام طبقاً للقوة التي تحركها كما لو لم يكن بها روح مطلقاً كذلك الوحدات التي تشعر بادراكها أي النفوس ، فانها تعمل كما

لو كانت بغير أجسام

الا انه بنأ على الائتلاف الذي أوجده الله من قبل فمجموعتا الافعال المذكورة — ولو انهما مستقلتان عن بعضهما تماماً — متفقتان بمعنى ان في الانسان مثلاً ، تقابل حركاته الجسمية بعض احساسات في النفس . كما انه يقابل افكار النفس بعض تعديلات في الجسم

علم النفس : النفس قوة بسيطة فاعلة ومفكرة على الدوام . غير ان افكارها على نوعين : أحدهما أفكار مبهمة عديمة الحس وهي المدركة . وثانيها أفكار متميزة وتشعر بادراكها ويدعوها ليبنز «aperception ادراك الادراك»

وأهم نظرياته النفسية ترجع الي اثنتين وهما نظرية العقل ونظرية الحرية .

نظرية العقل : كان لوك يقول ان نظرية النفس أشبه بصحيفة بيضاء تنقش عليها التجربة جميع انواع الصفات .

أما ليبنز فانه يشبهها برخامة بيضاء منقوش عليها من الاصل شكل التمثال وخطوطه والتجربة هي التي تزيده وضوحاً وجلاء وتظهره تاماً كاملاً

قال لوك العقل لا يدرك الاشياء الا عن طريق الحواس

Nihil est in intellectu quod non prius fuerit in sensu

فصحح ليبنز هذا المثل بهذه الكلمات التي أضافها عليه :

nisi ipse intellectus

يوجد فينا شيء غريزي وهو العقل وقوانينه

وهذه القوانين التي نجري تطبيقها عند ماتسمح لنابها التجربة قسمان أحدهما مبدأ التناقض والآخر مبدأ السبب الكافي

فالاول يقابل الممكن . والثاني يؤدي بنا الى الوجود الفعلي وتشتق من المبدأ الثاني المباديء الاخرى الاساسية الآتية .

(١) مبدأ السببية : لكل شيء يبدأ في الوجود ، سبب

(٢) مبدأ الغاية : لكل ناتج غاية

(٣) مبدأ الاصلح : اذا كان شيء احسن من غيره ممكن حصوله . فلا معنى لبقاء الاقل صلاحية

(٤) مبدأ الاستمرار — الفراغ في الزمان أو في المكان — وفي كمية الكائنات او كمالها . ليس له سبب كاف مادام الاستمرار ممكنا

نظرية الحرية : قال ليبنز « توجد الحرية في الفهم الذي يتضمن معرفة متميزة عن ذات الشيء وعن التعليل ٠ وتوجد في الذاتية Spontanéité التي بها نعين لنا شيئاً خاصاً — ويجعلها ايضاً في الحدوث Contingence أي في استبعاد الضرورة

المنطقية او النظرية

فالخاصة الذاتية والحدوث تتقابل في جميع افعال الوحدات ٠ وينشأ عن ذلك ان الفهم يكون كروح الحرية والاصل الذي تبنى عليه

وحريتنا ليست في حرية عدم الاهتمام تعمل بدون سبب انما هي مسيرة بالخير الاعظم

واذا كانت ارادة الانسان العاقل تنطبق دواما على الاسباب الدافعة لها فلا يفهم من ذلك ان تلك الارادة مقيدة ؟ كلا ٠ لان الاسباب التي تدفعني على العمل هي اسبابي وباطاعتها اطيع نفسي فاذن ما دامت تبعيتي لذاتي فانا حر

هذا هو مذهب ليبنز الجبري Determinisme الذي يتعارض مع تعريف المسيو جانيه للحرية حيث يقول انها خاصة العمل ضد الميل الدافع

ويستخلص ليبنز من مذهبه هذا ان عمل الانسان خاضع دائما للعقل وانه اذا ارتكب الشر فللظن انه خير ٠ فالانسان لا يفعل الشر الا عن خطأ

يرى من ذلك ان لبنز اعتنق رأي سقراط وافلاطون في الفضيلة

العلم الالهي : الله هو السبب الكافي لوجود جميع الكائنات التي نراها . وهو السبب الكافي للائتلاف السائد بينها

ويضيف لبنز الى هذين الدليلين . برهان القديس انسلمس الذي اخذ به ديكارت — ثم حاول ان يردعنه كل نقد

ان كمالات الله هي كمالات نفوسنا غير انه تعالى يحوزها بغير حد — وتوجد فينا بعض القوة وبعض المعرفة وبعض الصلاح . ولكنه الكلي القدرة والفهم والصلاح

ومن ذلك يستخلص لبنز نظرية التفاؤل

قال « الحكمة السامية مضافة الى الصلاح الذي لا يقل عنها لا تناهياً لم يمكنها الا اختيار أصلح الاشياء

فاذن يكون العالم الحالي أحسن العوالم الممكنة وكماله هو سبب كاف لوجوده

لم يكتف لبنز باثبات تفاؤله بداهة **a Priori** بل اراد أيضاً التحقق من صحة مذهبه اختيارياً **Posteriori** والتوفيق بين وجود الشر مع القول بكمال العالم ولهذا الغرض يميز بين ثلاث انواع للشر

(١) الضرر النظري . والضرر الطبيعي الجسمي . والضرر الخلقي الادبي . ولاحظ انه لا يجب النظر الى العالم في وقت معين من اوقات الوجود بل في مجموع زمن وجوده الذي يتناول ابدية الاجيال المستقبلة

(نقد فلسفة لبنز) لتقدير هذه الفلسفة يجب ان لا يبرح عن البال انها اصلاحاً لمذهب لوك الحسي من جهة ولبعض اصول العقيدة الديكارتية من جهة أخرى

ولا ننكر انها تتضمن بعض الحقائق السامية غير ان بها أيضاً بعض أغلاط جسمية : فلبنز يخلط بين الحرية والارادة . وينكر حقيقة السبب الموحد بين النفس والجسم

اما نظريته في التفاؤل فيميل الى نكران القدرة الالهية الكلية والتحتيم بضرورة الخليقة

ومع ان هذا المذهب في مجموعه معارضة واضحة للمذهب الحسي فهو لم يخل أيضاً من اضرار المذهب التصوري

٦٧

انصار لبنز

يسوغ لنا ان نعتبر من انصار حركة لبنز الفلسفية كريستيان تومازيوس (١٦٥٥ — ١٧٢٨) الذي اتم تعريف معنى الجوهر ولكن كان أهم اشتغاله بالحق الطبيعي

وكريستان ولف (١٦ ٩ ١٧٥٤) الذي نشر فلسفة لبنزفي المانيا — والاب بسكوفتش (١٧١١ — ١٧٨٧) الذى عدل نظرية الوحدة . فارتأى ان الاركان الاخيرة للجسم هي نقط حقيقية لا تتجزأ ولا تمتد وضعت احداها على مسافة من الاخري ولها قوتا الجذب والدفع

فهذان القانونان يكفيان لتفسير جميع الظاهرات الطبيعية والصفات الجسمية

وجان باتست فيكو (١٦٦٣ — ١٧٤٤) من مدينة نابولى اشتهر بمؤلفه « العلم الجديد » ذكر فيه المبادىء الاولى لفلسفة التاريخ .

المدة الثانية

الجيل الثامن عشر

للحركة الفلسفيه في هذا الجيل ثلاثةمراكزوهي (١) فرنسا (٢) انكلترا واسكتلنده (٣) المانيا

الفلسفه في فرنسا

تكاثرت في فرنسا المذاهب الفلسفية فبعضهاتجريبي ومادى وبعضها عقلي والحادي . وبعضها اجتماعي واقتصادي

٦٨

المذهب الحسى

كندلياك

ولد اتيان بونو دي كندلياك **Condillac** (١٧١٥ — ١٧٨٠) في مدينة جرينوبل وتعين مؤدباً لدوق دي پارما حفيد لويس الخامس عشر فألف له سلسلة دروس خاصة

اما اهم مؤلفاته فهي « مبحث في اصل المعارف البشرية طبع سنة ١٧٤٦ — وكتاب المذاهب (١٧٤٩) وكتاب الاحساسات (١٧٥٤) وكتاب لغة الاعداد ظهر بعد وفاته

ففي المؤلفين الاولين نقل كنديلياك وأتم آراء لوك في مصدر اللغة وعلاقتها بالفكر • اما في الكتابين الاخيرين فقد خالف استاذه فيهما وحاول ان يثبت صدور معارفنا وقوانا من الاحساس دون غيره قال « لنفرض تمثالاً مركبا مثلنا وله عقل خال من كل فكر

فعند حصول الرائحة الاولى ، تكون اهلية التمثال للشم منحصرة كلها في التأثير الذي يحدث في العضو

وهذا ما ادعوه بالانتباه »

فالانتباه اذن هو المصدر الذي تشتق منه كل قوى الادراك : فالمقارنة ليست سوى انتباه مزدوج والذاكرة هي ما تبقى من احساس ماض ، والحكم ينشأ عن المقارنة ، والتروي ليس الا سلسلة احكام قد تدعي التخيل لو كان غرضها الصور ، كما ان التعليل استنتاج حكم من حكم آخر يتضمنه

اذن لا يوجد سوى احساسات في تعليلاتنا كما في احكامنا

واذا اعتبرنا احساساتنا كتمثيلية فاننا قد رأينا ان جميع ملكات العقل مشتقة منها. واذا اعتبرناها واقعية فسنرى انه يتولد عنها جميع القوى التي نعلقها بالارادة

فالالم الذي ينشأ عن الحرمان من شيء مسر يدعى (**الاحتياج**) فالاحتياج يوجه جميع قوانا الى غرض وهذا التوجيه هو (**الرغبة**) والرغبة التي تصبح عادة تدعى **الهوى** واذا كانت شديدة تصير **امرا**

اما الرغبة المطلقة فهي الارادة بحصر الكلمة . ويجمل القول يطلق العقل على اجتماع الحس والمقارنة الخ — والارادة هي مجموع الاحساس المسر أو المكدر . والحاجة والرغبة الخ

اما كلمة الفكر فتشتمل قوى العقل والارادة ولما كانت هذه القوى جميعها تتولد بالضرورة من الاحساس كان الفكر على أي حالة . احساسا تغير شكله

اما مسألة اللغة فقد وقع كنديلياك في أغلاط جسيمة لم يقع فيها لوك • فعلى رأيه تكون اللغة مبدأ جميع قوانا المختلفة والعلوم ليست سوى سلسلة جمل متشابهة وعلى ذلك تكون اجادة العلم في اجادة اللغة

ملحوظة — يرتكز مذهب كنديلياك على مبدأ ان النفس لا تعرف الاشياء الخارجية الا بواسطة الاحساس . وهذا اعظم خطأ . لان الانسان الذي لا تكون له سوى خاصية الشعور . لا يعرف شيئا

وليس الانتباه — على رأي كنديلاك الا احساسا خاصا فهذا الرأي هو أضعف نقطة في مذهبه لان الاحساس شيء انفعالي والانتباه فعلي والفرق بين الاثنين لا يمكن تجاوزه

كذلك توجد أغلاط كثيرة في باقي ارائه

فالمقارنة ليست انتباها مزدوجا . والحكم ليس مقارنة في جميع الاحوال . اما نظرية قوى الارادة ففاسدة فساداً مطلقا

ومن الخطأ البين الذي وقع فيه كنديلاك تكييف الهوى بالامل . والامل بالارادة

كما اننا لا نفسر كيف نسي كنديلاك التكلم عن الحرية ضمن نظريته في قوى النفس . ولا يستبعد انه ربما يكون مزجها بالغريزة أو بالرغبة

٦٩

المذهب المادي

المذهب المادي نتيجة طبيعية للمذهب الحسي المتقدم واشهر معتنقيه هم : هلفتيوس (١٧١٥ — ١٧٧١) الذي علم به في كتابيه الروح والانسان

والبارون دي هلباش (١٧٢٣ — ١٧٨٩) الذي كتب عدة

مؤلفات في المادية والالحاد واهمها « المذهب الطبيعي »

وسان لمبير (١٧١٧ — ١٨٠٣) الذي اوجز اخلاقيات هلفتيوس في بضعة قواعد دعاها باسم «التعلم الديني العام»

ولامتري (١٧٠٩ — ١٧٥١) مؤلف كتاب « الانسان النباتي) والانسان الآلي

٧٠

المذهب العقلي

بجانب الحركة المادية التي مال كثيرون من الانسكليوبيديين الى نشرها • قام الفلاسفة العقليون الذين اتفقوا مع الماديين في نظرية الاخلاق يخالفونهم في جميع المسائل اللاطبيعية وقد نصبوا انفسهم مدافعين عن حقوق العقل • فتولى زعامتهم فولتير وروسو بيد ان هذا الاخير اشتهر بتأثيره في المسائل الاقتصادية الاجتماعية اكثر من الفلسفة الصرفة

فولتير (١٦٩٤ — ١٧٧٨) Voltaire

تلقى العلم على اليسوعيين في كلية لويس العظيم ثم تعين ملحقا لسفارة فرنسا في هولنده • ثم نفي الى انكلترا على اثر مشاجرة

حصلت بينه وبين الشفالييه دي روهان

كانت رواياته : هزياد • وهيكل الذوق وغيرها سببا في شهرته الادبية • ورسائله الفلسفية رفعته الى رأس الفلاسفة المعاصرين

ليس لفولتير فلسفة خاصة وانما اعتنق مذهب لوك بدون بحث وكان يعتقد بخلود الروح وبوجود الله • وفي رسائله الى فريدريك الثاني انتصر ببلاغة لنظرية الحرية البشرية • ودحض مذهب لوك في المنفعة

غير ان اعترافه بوجود الله يناقض عقيدته فيما كتبه في رواية « كانديد » وفي قصيدته عن زلزلة ارض لشبونه فقد انكر وجود عناية ربانية • وفناء الكون

٧١

المذهب الاقتصادى

أخذ المفكرون في الاهتمام بالمسائل الاجتماعية والاقتصادية في الجيل الثامن عشر ولنذكر بين الذين اشتهروا باصلاحاتهم :

مونتسكيو (١٦٨٩ — ١٧٥٥) Montesquieu

فكان تأثيره عظيما في الاقتصاد السياسي واشتهر على الخصوص بمؤلفه « روح الشرائع » مؤسسا على مبدأ « ان القوانين هي العلاقات الضرورية المشتقة من طبيعة الاشياء» وقد اوضح فيه ان الاجتماع طبيعي في الانسان وان القوانين الاجتماعية ليست اتفاقات تحكمية وانما هي مؤسسة على العلاقات الضرورية للاشياء وهو بذلك يخالف مذهب هوبز . ثم تكلم عن جميع اشكال الحكومات المختلفة وقال انها لا تخرج عن اربعة : الحكومة الاستبدادية القائمة على الخوف ، والحكومة الملكية ومبدأوها الشرف . والحكومة الجمهورية ومبدأوها الفضيلة ، والحكومة المختلطة الشورية ومؤسسة على تقسيم السلطات وهي أفضل الحكومات لانها تمثيلية

ومن رأيه الغاء العقوبات التعذيبية التي كانت شائعة في عصره والغاء الرقيق . والتساهل الديني . وايجاد محلفين في المحاكم

جان جاك روسو (١٧١٢ — ١٧٧٨)

J. J. Rousseau

كانت حياته ملأى بجلائل الاعمال وهو يعد من أعظم مشاهير عصره وممهدي الثورة الفرنساوية . وله مؤلفات كثيرة أشهرها كتاب « العقد الاجتماعي » في الحقوق السياسية . وكتاب اميل في التربية

اما رأيه في السياسة فينحصر في « ان حالة الطبيعة للانسان ان يعيش في وسط عائلة بتواضع حر . وان الجمعية المدنية اصبح من الضروري وجودها نظراً لما طرأ على الاخلاق من الفساد . والملكية ضرر ناشيء عن حالة لاطبيعية وضد الاجتماع فالثمر مشاع للجميع واما الارض فليست لاحد — الجمعية المدنية والسياسية مؤسسة على اتفاق معقود بحرية . العقد الاجتماعي لا ينتج عنه تنازل الافراد عن حريتهم وكل عقد يخالف ذلك يكون لاغياً . انما هو عقد مساواة بين الجميع — بعد التعاقد الاجتماعي تظل السيادة من حق الشعب — وليس الحكام ملوكاً انما هم وكلاء عن الشعب — لهذا الاخير الحق في كل وقت ان يعزلهم . ومن الاصوب والمستحسن ان تقسم المملكة الكبيرة الى عدة حكومات صغيرة

متحدة فيما بينها . ويجب ان تنفصل الحكومة عن كل دين سماوي بل تتخذ لها ديناً طبيعياً مدنياً تؤلف الامة مواده

اما تربية الطفل فتجب ان تكون سلبية أي خالية فقط من العيوب والاغلاط

فهذه الآراء الفلسفية السياسية التي قيلت منذ نيف ومائة وخمسين سنة كان لها أعظم التأثير حتى الآن في حياة الشعوب قاطبة .

كناي (١٦٩٤ — ١٧٧٤) Quesnay

هو مؤسس المدرسة الاقتصادية المعروفة بمدرسة الطبيعيين Physiocrates اذ كان يعتبر ان الارض مصدر جميع الارزاق واستنتج من ذلك ان الضرائب يجب ان توحد وتقوّم تبعاً لنتاج الارض وغلتها وان مالك العقار هو الملزم دون غيره بدفعها .

ترجو (١٧٢٧ — ١٧٨١) Turgot

نشأت شهرته من خطابين القاهما سنة ١٧٥٠ في السوربون احدهما عن المنافع التي أدتها الديانة المسيحية للجنس البشري . والثاني عن تقدم الفكر الانساني

وقد تعين في القضاء فكان وكيلاً للنائب العمومي فمستشاراً في مجلس الشورى (البرلمان) فوكيلاً للمالية فوزيراً لها

وقد رفعه كتابه « تكوين الارزاق وتوزيعها » في مصاف الاقتصاديين وكان مشاركا لكناي في مذهبه

كوندرسيه (١٧٤٣ ١٧٩٤) Condorce

كان سكرتيراً لاكاديمية العلوم . فنائباً في الجمعية التشريعية ثم انتخبته سبع مديريات في حكومة « الاتفاق » ولكنه سقط مع حزب الجيرونديين ونفته الحكومة فاختفى ثمانية اشهر في منزل مدام فرنيه ولكن القي القبض عليه بعد ذلك واقتيد الى السجن فتجرع السم من تلقاء نفسه

كان يرى ترقي الفكر البشري وتدرجه الى الكمال كلما تقدم في المدينة

الفلسفة في انكلترا واسكتلندة

تعتبر الفلسفة في انكلترا واسكتلندة في الجيل الثامن عشر مناظرة لفلسفة لوك وللنتائج المادية التي استخلصها منها فلاسفة فرنسا. فالمقاومة كانت بالغة اشدها تارة ونتج عنها في الفرع النظري المذهبان : التصوري والارتيابي

وطوراً كانت غير تامة فأدت في فرع الاخلاق الى المذهب الوجداني أو المنفعة بمعناها الصحيح

وتارة كانت على اتمها وفي حدودها المعقولة فادت الى المذهب الاسكتلندي أي الى الذوق الفطري . وسنتكلم عن كل مذهب من هذه المذاهب المتعددة

١/٣ — المذهب التصوري Idealisme

جورج بركلي (١٦٨٤ — ١٧٥٣) Berkeley

ولد في كيلرين بالقرب من توماستاون في الجنوب الشرقي من ارلنده

تلقى دروسه في مدرسة « الثالوث » بدوبلن وتخرج منها وهو في الرابعة والعشرين من عمره . وقد صنف المؤلفات التي خلدت اسمه واهمها كتاب محاورات هيلاس وفيلوناوس

سافر كثيرا في ايطاليا وامريكا وبعد اوبته تعين اسقفاً لكلوين Cloyne في جنوب ارلندة . وبعد ذلك بثمانية سنوات اعتزل العمل فمات في اكسفورد سنة ١٧٥٣

(مذهبه) بنى بركلي فلسفته على نظرية لوك في المعرفة : نحن لا نعرف الاشياء الا بالصور التي نتخيلها لها • فنحن لا نعرفها مباشرة

فهل لهذه الاشياء ،التي نتمثها كمواد تحدث الظاهرات،وجود فعلي ؟

لا يمكن لنا التثبت من ذلك بما اننا لا نعرف الا ما فينا ،أي تعوداتنا . ولا شيء يؤكد لنا مطابقة هذه التصورات على موضوعاتها

غير ان بركلي يقول « ان لا وجود للتصورات الا اذا كانت مدركة فيجب ان نكون اذن موجودين نحن الذين ندرك هذه التصورات

ولكن هل نحن الموجودون في العالم دون غيرنا ؟

يجيب بركلي على ذلك نفياً لان تصوراتنا محتمة علينا في اغلب الاحيان . وهي تحصل فينا بنظام متآلف لا يتعلق بنا • اذن يوجد روح آخر يخلق فينا هذه التصورات

فالعالم هو مجموع ظاهرات لا يتعلق بنا احداثها او ارتباطها

ولا يوجد هذا العالم الا في الادراك البشرى الذي يتخيله • وفى الادراك الالهي الذى يتضمنه ويجعله قائما

لقد اراد بركلي دحض المذهب المادي فوقع في التصوري ولاعتباره الظاهرات الطبيعيه تتابع بغير غاية مهد الطريق لمدرسه ستوارت ميل التجريبيه

وقال فكتور كوزين « ان الانسان باعتناقه مذهب بركلي التصوري يؤمن بوجود الروح مصدر كل التصورات وبوجود الله العله الاولى لجميع هذه التصورات

فجاء هيوم ولاشى هذه الاعتقادات ونفى وجود الروح كما نفى بركلي من المادة صفاتها الاوليه وازال لوك صفاتها الثانوية من معرفتنا

٧٣ — المذهب الارتيابي Scepticisme

داقيد هيوم (١٧١١ — ١٧٩٦) Hume

ولد في مدينه نين ولس بكونتيه بورك جنوبي ادمبورغ رشح نفسه للمحاماة فلم ينجح فيها • فاراد الاشتغال بالتجارة فولته ظهرها • فقصد فرنسا واقام بها ثلاث سنوات في المدينه التي نشأ فيها ديكارت

وفي عام ١٧٣٩ نشر الاجزاء الاولي من مؤلفه « الطبيعه

البشرية » وظهر الجزء الخاص بالاخلاق سنة ١٧٤٠

ولما لم ينل كتابه رواجاً رافق الجنرال سنت كلير بصفة سكرتير لما كان سفيراً في ايطاليا والمانيا

وعندما عاد الى وطنه نشر كتابه «مباحث في العقل البشري» وفي سنة ١٧٥٧ تعين أميناً لمكتبة المحامين بادمبورغ . ثم الف كتابا في تاريخ انكلترا كان السبب في شهرته

(مذهبه) استخلص بركلي من المبادىء التي قررها لوك عدم وجود العالم الظاهري . اما هيوم فقد استخلص عدم وجود الجوهر جسمياً كان او روحياً

والغرض من الفلسفة نقد قوتنا المدركة التي تعلمنا ان الاشياء موجودة فيناولنا

نحن لا نعرف سوى حالات وجداننا والعلاقات التي تربط بعضها ببعض

فحالات الوجدان او الظاهرات الباطنية على نوعين

(١) التأثيرات او المدركات الحالية وهي تشتمل الاحساسات والاهواء والمشاعر التي نشعر بها

(٢) المثل او الصور الضعيفة للتأثيرات التي تحدث لنا بواسطة التذكر او التخيل

وما العلاقات التي تربط هذه الحالات الوجدانية ببعضها

البعض . الا التي تكون اساساً لتداعي المعاني : أي علاقات المشابهة أو المناقضة وتلازم الزمان او المكان والتعاقب المستمر

وقال هيوم : « زعموا ان الروح يوجد كسبب وكمادة جوهرية لتصوراتنا . غير انه لا توجد علة ولا مادة جوهرية لان الاختبار لم يوقفنا على أثر لهما . فلا ينطبق عليهما لا معنى الحس ولا معنى التأمل

فليست المادة الجوهرية في الواقع الا مجموعة مدركات مختلفة

فالتأثرات ذاتها هي ما ندعوه بالعالم الخارجي وتصور هذه التأثرات هو الذى ندعوه بالعالم الباطني

اما معنى السببية فهو مظهر التعاقب الضروري الذى يتخيله العقل طبقا للعادة

هذا هو مذهب الشك المطلق وقد حاول هيوم عبثا التخلص منه بوضع اعتقادات احتمالية في النظام المنطقي والاخلاقي للسلوك بمقتضاها

٧٠

المذهب الوجداني Sentimentalisme

١ — انطون اشلي كونت شفتسبري (١٦٧١ — ١٧١٣)

Shaftesbury لا يسلم بوجود الخير لذاته فلا يجعل فارقا جوهريا بين الخير والشر فالذي يدفعنا لتحبيذ بعض الاعمال كأنها خيرة وللاشمئزاز من بعضها كانها مضرة . هي حاسة ادبية أي صادرة عن ترو وتأمل

٢ — فرنسيس هتشسون (١٦٩٤ — ١٧٤٧)

Hutcheson

ارلندي الاصل صار في الخامسة والثلاثين من عمره استاذا في جامعة غلاسجو باسكتلنده وظل فيها حتى توفي

اما مذهبه في علم النفس فيتقارب من مذهب لوك ولكن رأيه الاخلاقي يرتكز على قوة خاصة في النفس تدعى الحس الادبي مضافا اليها معنى العاطفة والانعطاف

٣ — آدم سميث (١٧٢٣ — ١٧٩٠) Adam Smith

اسكتلندي الجنس كان مدرسا في جامعة غلاسجو أيضا . اما نظريته في العواطف الادبية تدمجه ضمن فلاسفة المدرسة الاخلاقية الوجدانية. غير ان مباحثه في ماهية ثروة الامم واسبابها تجعله في أول صفوف الاقتصاديين

ففي الاخلاق يقرر آدم سميث مبدأ الجاذبية او الائتناس Sympathie ويزعم ان كل فعل تأنس به او تنجذب اليه هو خير وللحكم على اعمالنا الخاصة يجب ان نقف عندها موقف الغير متحيز .

وفي الاقتصاد السياسي يدحض آدم سميث نظرية «الطبيعيين Physiocrates ويقرر ان العمل مصدر الثروة والارزاق . وان شروط اجادة العمل وانتاجه بكثرة هو تجزئته والحرية في المبادلة أو في حمايته

٧٥

مذهب المنفعة Morale Utilitaire

جيرمي بنتام (١٧٣٢ — ١٧٤٨) Jeremie Rentham

ولد ومات في لندن وقد أوصى بتشريح جسمه

سار بنتام على مبدأ هوبز من ان الانسان بطبيعته اناني « محب لذاته » فقال « لا يعمل الانسان قيد اصبع لآخر الا اذا كان له في ذلك اعظم منفعة واكبر فائدة »

وما علم الاخلاق الا تنظيم الاثرة . وهو يأمر باستعراض اللذات المختلفة ويقارنها ببعضها البعض ويختار منها الاكبر في المقدار والكمية

هـذه هي نظرية المنفعة التي وضع اساسها بنتام ونشرتها المدرسة الانجليزية الحديثة وقد اضافت عليها عاملاً آخر وهو صفة اللذات

٧٦

المدرسه الاسكتلنديه

أربعة فلاسفة يمثلون هذه المدرسة التي يدعوها فكتور كوزين « اعتراض الذوق الفطري للانسانية ضد افراط المذهب الحسي وضد المذهب الارتيابي . أولئك الفلاسفة هم توماس ريد . ودوجلد ستوارت . ورويبه كولار . وهملتون

١ — توماس ريد (١٧١٠ — ١٧٩٦) Reid

كان ابن أحد القسوس المطهرين — وبعد ان كان راعياً لاحد الكنائس الصغرى . صار استاذا في ابردين . ثم في غلاسجو حيث أخلف آدم سميث

أما مؤلفاته فهي مباحث في العقل البشري . ورسائل في القوى العقلية . وفي القوى الفاعلة

وهو يرى ان الافراط في البحث النظرى يؤدي الى الشك ويبعد المرء عن الذوق الفطري

فاول شيء يجب ان تبحث فيه الفلسفة هو النفس وأصح طريقة تتبع في هـذا البحث هي تطبيق طريقة الملاحظة التي شرحها بيكون علي الافعال الباطنية وبذلك نتوصل الى معرفة التاريخ

الطبيعي للنفس

اما المسائل النظرية الخاصة بالعلة والغاية والمصدر والجوهر فيجب التوا كل فيها على الهام الذوق الفطري

واذ وضع « ريد » هذه المبادىء آخذ في وصف قوى النفس فقسمها الى قوى عقلية (حس وذاكرة وادراك وتجريد . وحكم . وتعليل . وذوق . ووجدان) والى قوى فاعلة (غرائز . وعادات . واهواء . ورغبات وانفعالات ومنفعة وواجب) ووضع للقوى الفاعلة ثلاث مبادىء وهي : مبدأ آلي . ومبدأ حيواني . ومبدأ عقلي

وهو لا يسلم بنظرية « صور — المعاني » وهي نوع من الوسائط الالزامية بيننا وبين الاشياء . ويزعم اننا ندرك فوراً ومباشرة تلك الاشياء بغير توسط شيء آخر —

وانكر ريد ما ذهب اليه لوك من ان الحكم هو دائما ادراك مابين رأيين من الاتفاق أو الاختلاف — لان هذا الرأى تنقضه التجربة فقال « ان أول عملية لنا هي الحكم الطبيعى الابتدائي الذي نقرره على وجود الاشياء التى تستوقف نظرنا . فبتحليل هذا الحكم نتصور لكل شيء المعاني التي لها في ذاتنا . — فعلى أي شيء ترتكز أحكامنا الاصلية ؟ يقول ديكارت انها مؤسسة على مبدأ التناقض » — ولكن توماس ريد يؤسس معارفنا على خلاف ذلك فيقول « الاحكام الاولية — الواضحة بذاتها —

هي التي تصدر منا من تلقاء الذات بمقتضى نوع من الحس الطبيعي المشترك بين جميع الناس . وبالرغم عن جميع مجهوداتنا لا يمكنا الارتياب بتلك الاحكام اذ تظهر لنا اكثر وضوحاً من أى برهان أو دليل —

توماس ريد رجل ذو ملاحظة دقيقة صحيحة وهو ليس عالماً نظرياً — فهو يصف الظواهر ، ولا يفسرها . ويعدد جميع قوى النفس وجميع احكام العقل الاولية ولا يرتبها ولا يبين الاتحاد بينها

(٢) - دوجلد ستوارت (١٧٥٣ — ١٨٢٨) Dugald-Stewar

أشهر تلاميذ ريد وسار على خطة وتعاليم استاذه وقد شرحها في كتابه « مبادىء فلسفة العقل البشري »

(٣) — رويه كولار (١٧٥٣ — ١٨٤٥) Royer-Collard

علم في باريس مذاهب المدرسة الاسكتلندية وكان من تلاميذه فكتور كوزين وداميرون . وجوفروا

(٤) - وليم هملتون (١٧٨٨ - ١٨٥٦) William Hamilton

« كتب محاورات في الفلسفة » « ودروس المنطق » والدروس

النظرية اللاطبيعية » وفي كتاباته اثار من فلسفة الفيلسوف الالماني « كانت »

كل معرفة هي علاقة بين الفكر وموضوع التفكير فتكون اذن معارفنا تبعية وليست مطلقة وقد قال هملتون « التفكير هو اشتراط او تحديد أي اخضاع الشيء لشروط أو لحدود ولو تكون شروط او حدود فكرنا ذاته »

ونتج عن ذلك ان اللانهائي او المطلق لا يدركه العقل ولا يمكن ان يكون الا غرض الايمان — اذ انه في الواقع غير مستطاع ادراك شيء حقيقي بدون تعيينه او وضعه في فصيلة من الفصائل ومتى تعين الشيء أو تخصص بفعل صار خاصا او مضافاً لجنس

اما المطلق أي الذي لا ينسب لشيء خاص يكون مجردا عن كل تعيين ونفي كل ادراك

ولكنا نلاحظ على هذا القول ان المطلق لا يمكن تعيينه لانه كامل انما هو في أقصى حدود التعيين لانه في اسمى درجة من الكمال

الفلسفة في المانيا

٧٧

عمانويل كانت (١٧٢٤ — ١٨٠٤)

Kant

ولد هذا الفيلسوف في كنجسبرج ببروسيا الشرقية في ٢٢ ابريل سنه ١٧٢٤ • وتلقى دروسه في جامعة تلك المدينة حيث تعلم فلسفة لبنز كما شرحها ولف ثم تعين مدرساً فيها زهاء الستين عاماً فكان يدرس الفلك والرياضيات والفلسفة

وقد تأثرت افكاره الفلسفية بكتابة « هيوم » الذي ايقظه من ثباته اليقيني ، و « روسو » الذي أوحى اليه ببعض عقائده الادبية •

وقدقال عنه المؤرخ ميشليه ما يأتي « كان يوجد على شواطيء بحر البلطيق خليقة غريبة قادرة قل عنها ما شئت • فهي انسان بل مذهب بل مدرسة جدلية • بل صخرة صلدة رسخت في وسط البحر • وكل فلسفة حاولت الدنو من ذاك الشبح ارتطمت وظل هو باق فدعوه « كانت » ولكنه في الواقع يدعى « النقد »

ظل هذا الكائن المجرد زهاء الستين عاماً بدون رابطة بشرية يخرج في ساعة معلومة ليدور دورته المعتادة دون ان يكلم أحداً ثم يعود من حيث خرج

أما اهم مؤلفاته فثلاثة وهى : نقد العقل المجرد أو النظري (سنة ١٧٨١) ونقد العقل العملي (١٧٨٨) ونقد الحكم (١٧٩٠)

ويصدق على هذه المؤلفات قول «جوبرت» انها جبل اتوس صيغ من الفلسفة وعنده ترتطم الرؤوس البشرية

الفلسفة الانتقادية ، ليست القضية التي حاول (كانت) حلها جديدة ، انما هي اساس الفلسفة الحديثة

وقد تساءل عنها ديكارت للمرة الاولى فى هذا السؤال « ما هى قيمة المعرفة » ؟

كان العقليون يقولون بامكان المعرفة بواسطة العقل الصرف بدون احتياج الى أي اختبار أو تجربة

فخالفهم التجريبيون في ذلك وذهبوا الى ان التجربة اساس كل معرفة ، والحواس اداتها

فاعترى المفكرون الشك من هذا التناقض والتعارض وكاد يتجدد عهد السوفسطائيين (المغالطين) بروتغوراس وغورغياس فقام «كانت » مقام سقراط في ذلك العصر واراد وضع حد لهذه الحال المريبة فبحث في مصدر المعرفة واصلها والشروط

التي تحصل بواسطتها

ولم يتخذ لذلك اساساً : « ان المعرفة يجب ان تنظم مستندة الى الاشياء » بل أسسها على « ان الاشياء يجب تنظيمها تبعاً للقوانين العقلية

وتنحصر فلسفته في الثلاث مسائل الآتية

(١) ماذا يمكننا ان نعرف

(٢) ماذا ينبغي ان نعمل

(٣) ماذا نستطيع ان نأمل

وكان غرضه من دراسة المعرفة الوقوف على عواملها المختلفة ومقدار نصيبها من الصحة وقيمتها .

نقد العقل النظرى : بهذا النقد يحاول «كانت » الوصول الى الغاية الاخيرة من عقائدنا

فبعد ان ميز بين الاحكام التحليلية والاحكام التركيبية analytique & Synthetiques اثبت ان التركيبية هي التي توصلنا الي بعض المعرفة وهي أيضاً مدار العلوم

وهذه الاحكام — بحسب اعتقاده — على نوعين ، تالية وأولية .

فالاحكام التالية Pesteriori من السهل ادراكها لانها نتيجة الاختبار

ولكن كيف يمكن معرفة الاحكام التركيبية الاولية Priori ؟ هذه هي المسألة الواجب حلها

وللاجابة على هذا السؤال يميز «كانت» بين عاملين مهمين موجودين في كل معرفة : أحدهما اختباري تجريبي . والآخر عقلي بديهي

فالاول يأتي من الخارج وما على العقل الا تحصيله . وهو بطبيعته متغير وخاص ويدعوه «كانت» المادة أو العامل المادي

والثاني يأتي من العقل ذاته فيأخذه العقل من ذاته ويضيفه الى العامل الاول . وذاك العامل مستقر على حالة واحدة لا يتغير وعام ويدعى العامل الصوري

ويلاحظ كانت ان العامل الثاني المذكور هو الاساس الحقيقي للمعرفة . فالمادة من تلقاء ذاتها لا تتجاوز النظام الظاهري الصرف . ولا تصير شيئاً الا اذا اتخذت صورة، أي تطبق عليها قوانين العقل

فمسألة الارتيابيين تنحصر فيما يأتي : ماهي العوامل الاولية لكل معرفة وما قيمة تلك العوامل ؟

ان مرجع كل معرفة اما الى الاحساس أو الى الفهم أو الى العقل السامي

نظرية القوة الحسية:

القوة الاحساسية هي الامكان الذي أودع في الانسان ليشعر

بالتأثيرات التي تحدثها فينا الاشياء المختلفة وهذه التأثيرات تسمى « ادراك عقلي » intuitions وهي مادة المعرفة الحسية

والعوامل الاولية aPriori أو الصور الحسية التي بمقتضاها تتخيل للظاهرات حقيقة واقعية ، تتلخص في أمرين : المكان والزمان — واراد «كانت» تعيين قيمة كل منهما فقال انهما صورتان يتخيلهما العقل ولا مسوغ لنا يجعلنا ان نضعهما في الاشياء. وينتج عن ذلك ان ليس في وسعنا معرفة الاشياء في ذاتها noumenes وانما «ظواهر الاشياء » Phenomenes

نظرية الفهم السامي l'entendement Transcendantal

غرضه ان يشكل معلومات القوة الاحساسية الى معان otion ؛ أي مدركات تتكون منها الاحكام . فالمعلومات الحسية هي العامل التبعي Posteriori أو بالحري مادة أحكامنا . أما العوامل الاولية Priori الذي يطلق عليها هنا لفظ « الكليات Categories فهي القوانين الاصلية التي بمقتضاها يفكر الفكر أو يحكم وعددها اثنى عشر وهذا بيانها

الكمية
- الوحدة
- التعدد
- الجمع

الكيفية	الايجاب
	السلب
	التحديد
الاضافة	الاستقلال
	التبعية
	التبادل
الحال	الامكان
	الوجود
	الضرورة

فالكمية في الحكم تعين الشيء بكثرته أو قلته والكيفية تبين العلاقة بين الصفة والموصوف والاضافة تبين ماهية العلاقة التي تجمع بين الشيء الموصوف وصفته .

اما الحال فهو الصورة التي عليها انتقشت تلك العلاقة في الذهن .

ويحصل تطبيق هذه الكليات على المعلومات الحسية بواسطة حد أوسط وهو الزمان وهذا الحد هو الذي يدعوه « كانت »

باسم Sheme transcendantal

ولكن ما هي قيمة الاحكام الناشئة عن تطبيق الكليات على « المعلومات الحسية ؟

من الواضح ان هذه الاحكام ، باعتبار انها قوانين لعقلنا ، تؤدي الى اليقين . ولكن هل في استطاعتنا معرفة شيء آخر غير تلك القوانين ، وهل للاحكام التي نصدرها قيمة حقيقة خارجة عنا ؟

كلا بما ان المعلومات ، مادة احكامنا ، ليس لها في ذاتها قيمة وعند ما يكون لتلك المعلومات قيمة خارجية فاحكام الفهم لا يكون لها سوى ظاهرات باطنية صرفة بما ان الكليات التي بواسطتها نضع تلك الاحكام لا يجب اعتبارها الا كقوانين مكونة لقوتنا الفكرية اذ ليس لها أي علاقة بالاشياء الحقيقية

نظرية المنطق السامي Dialectique Transcendantal

العقل هو خاصة استنتاج حكم من حكم آخر . ويؤدي بجميع مدركات الفهم الى التعميم الكامل أو الى اسمى وحدة ممكنة والاحكام هي مادة هذه المعارف الجديدة والعوامل الاولية التي تدير العقل في هذا العمل الاسمى هي المعاني الثلاث الاساسية للنفس والعالم والله . تلك المعاني التي تقف عندها جميع معارف

فما هي قيمتها ؟ وبمعنى آخر هل ممكن البحث في علوم مابعد الطبيعة ؟.

يجيب « كانت » على ذلك سلباً

لان البسيكو لوجية النظرية تؤدي الى قياسات باطلة Paralogisme التي حاولت اثبات وجود نفس بسيطة متماثلة مرتكنة على وحدة وتماثل الفكر لان الوحدة والتماثل المذكورين

اما علم التكوين النظري فلا يؤدي الا الى متناقضات ضرورية antinomies لاتؤدي الى حل القضايا الآتية : هل للعالم بداية أو هو ازلي قديم . هل هو لانهائي أو انه محدود المكان ؟ هل هو مؤلف من عناصر بسيطة أو قابل التجزئة بغير حد ؟ هل يحتوي على اسباب حرة أو كل شيء فيه معين ومحدود

كذلك اللاهوت النظري يزعم امكان اثبات وجود الله أي الكائن المطلق الكامل . غير ان البراهين التي قيلت للتدليل على ذلك لا تستطيع تخطي المثال الى الواقع

واننا باعتقادنا بوجود النفس والكون والله نصف الاشياء بما يصوره لنا الذهن فنتنقل من الفكر الى الواقع بدون حق

اذن لا يمكننا معرفة الاشياء في ذاتها ولكن ظواهرها فقط وهذه هي نتيجة العقل المجرد

نقد العقل العملي : تناول « كانت » هذا النقد توصلاً الى غرضين أولهما تعيين الاصل الاساسي الذي تبنى عليه الاخلاقية الانسانية وثانيهما تقرير بعض ماانكره العقل المجرد الخاص بالحرية وبوجود الله وبخلود النفس وبذلك يكون اجاب على هذين السؤالين : ماذا يجب ان نعمل . وماذا نستطيع ان نأمل

يميز « كانت « في كل عمل كما في كل معرفة بين المادة والصورة فالمادة مجموع الظروف التي يتنوع بها العمل والصورة المبدأ العمومي الذى يعيننا على تتميم ذاك العمل

وغاية « كانت » ان يبحث بين المباديء المختلفة التي تلزمنا على العمل وبين مختلف صور ميولنا ، تلك المباديء المشروعة التي تنطبق على طبيعتنا ولهذا الغرض قسم الفيلسوف نقده الى قسمين أحدهما تحليلي . والآخر جدلي

القسم التحليلي : (الواجب) ليحل كانت المسألة التي وصفها لنفسه — جاهلاً ما اذا كان يوجد شيء حقيقي ـ أخذ في تحليل معنى الغاية . فأول ما لاحظ ان هذا المعنى يحتم معاني القوة والحرية والادراك ، ثم تساءل ما هو السبب المشروع الذي يقضي بتلك العلة . فوجد انه يشتق من سبب الزامي وعام وهو الواجب أو بالحري الامر القطعي imperatif Categorique فهو اسمى قاعدة للسلوك وأصل الخير

ولكي أعرف اذا كان العزم الذي نويت عليه شرعياً من

عدمه فما عليَّ الا ان أطبق عليه مبدأي الالزام والتعميم او ان اتبع هاتين القاعدتين العمليتين

(١) « اعمل ما يقرره لك عقلك انه الزامي »

(٢) اعمل ما يمكن اعتباره قانونا عاماً لكل عاقل وحر

واذا سألنا كانت عن مبدأ الواجب الذي يقول عنه انه « أمر قطعي » فتارة يجيبنا انه لا يعرف عنه شيئاً وطوراً يقول انه « استقلال الارادة » الذى يكون في ان كل انسان يجب ان يعتبر انه غاية في ذاته . وعلى ذلك تكون الارادة المطلقة قاعدة ومبدأ الاخلاقية

القسم الثاني — المبادىء المسلم بها **Postulat** ليس لنقد العقل العملي الا قيمة باطنيـة لا تتناول الاشياء الحقيقية ولكن « كانت » يحاول به الوصول الى نقله الى الظاهر . لست محتاجاً للخروج من دائرة العقل لاجد معنى الالزام الحقيقى لان عقلي يعطيني هذا المعنى ويملي أيضاً عليَّ هذا الامر : (يجب ان تعمل هذا أو ذاك) فاستخلص من ذلك انني موجود لان الالزام الحقيقي يستلزم وجود العلة الملزمة

واذ ثبت الوجود الذاتى . نتج عنه أيضاً الحقائق الآتية

الواجب هو قانوني ولكي يكون له معنىً حقيقي يجب ان استطيع عمله اذ من المستحيل الزام انسان بعمل شيء لا يتعلق به

فالحرية اذن شرط من شروط الاخلاقية

ومن الامتهـان قصر الاخلاقيـة على الفضيلة كما توجد على الارض لانها بالضرورة ناقصة وتبعد عن الاخلاقية الكاملة وعن القداسة التي تتطلع اليها الارادة القوية فيستخلص من ذلك الخلود وهو الشرط الثاني للاخلاق

اذا كان الانسان لا يمكنه في هـذه الحياة الدنيا ان ينال السعادة والفضيلة • هل في استطاعته نوالهما بذاته في الحياة الاخرى؟

يظهر ان هذا غير مستطاع بل يلزم معونة العلة الاولى

فالله اذن هو شرط ثالث للاخلاق

كتب « كانت » في أحد المواضع « اضطررت ان انفي العلم لاثبت الايمان » ففسرت هذه الجملة التناقض الذى احتوى عليه مذهبه . وظل الواجب الاساس الذى لا يتزعزع لجميع المعقدات التي لا يتناولها الاختبار

(٣) الواجبات — تكلم الفيلسوف في أحد مباحثه عن الواجبات وقسمها الى طائفتين : واجبات حق ، وواجبات فضيلة فالاولى قد تتحتم علينا بضغط خارجي . والثانية لا نلتزم بها الا في الباطن

والحق ، اساس الواجبات الدقيقة ، يتضمن الحق الطبيعي والحق الوضعي . فالحق الطبيعي غريزي أو مكتسب . وخاص أو مشترك أو عام اما الحق الوضعي فيتضمن القوانين المشروعة وتتعلق واجبات الفضيلة بنا أو بغيرنا . اما الواجبات الدينية

فهي في المرتبة الثانية في نظر «كانت»

نقد الحكم : يراد هنا بالحكم قوة خاصة من وظيفتها اثبات علاقة بين معلومات العقل المجرد ومعلومات العقل العملي والتوفيق بين عالم المادة وعالم الحرية[1]

ولهذا الحكم حالتان : حكم الجمال (استيتيكي) وموضوعه الجميل والسامي — وحكم العلة الغائية teleologique — الذى يبحث في غاية الكائنات

١ — حكم الجمال — ذكر «كانت» عدة تعريفات للجميل نذكر منها هذا التعريف : الجميل هو كل ما يؤدي الى اغتباط المخيلة الحرة بدون ان يتعارض مع قوانين الفهم

والسامي ينشأ من اختلاف المخيلة والفهم بخصوص شيء ليس له شكل محدود . فاذا وجدت للمناظر عظمة كالسماء ذات النجوم الزاهية فهذه هي القوة السامية

وكذلك يعترف كانت بالسمو الفكرى . والسمو الاخلاقى

٢ — حكم العلة الغائية — لنا على الطبيعة احكام منطقية بمقتضاها نجعل للكائنات غايتين احداهما باطنية خاصة بذات الكائنات . والاخرى تبعية او خارجية

فنحن نؤكد تأكيداً عاماً ضرورياً ان لكل عضو في الكائنات غاية يسعى اليها . وانه لا يحصل شيء في العالم بطريق

الصدفة او الاتفاق . وبذلك تظهر لنا كمجموع عظيم من الغايات تسعى كلها الى غاية أخيرة

بيد ان كل هذه التعليلات باطنية نتصورها في ذواتنا . والعقل العملي الذي يرشدنا الى الخير الاعظم هو الذي يؤكد لنا ان الله هو حقيقة الغاية الاخيرة لكل موجود

(نقد فلسفة كانت) اظهر لنا كانت قدرته الفائقة في التحليل ولكنه اخطأ في كثير من المسائل مثل تأكيده بان العقل هو الذي ارشدنا عن حقيقة ذاتنا البشرية مع انها لم تعرف الا بالضمير أو الوجدان . وقد وقع في أغاليط المذهب الارتيابي بالرغم عما أظهره من البراعة في نقد العقل العملي لانه اذا كان العقل المجرد (النظري) غير قادر على الوصول الى المعرفة اليقينية فالتعليلات التي استخلصها من معنى السبب الحر . هي بالضرورة بدون قيمة

ويمكننا ان نلخص فلسفته في كلمتين : فلسفة ارتيابية في حقائق الاشياء . وفلسفة يقينية في الاخلاق

٧٨

خلفاء كانت

وفلسفة الحلول

قام في وجه كانت اثناء حياته معارضون مشهورون منهم برهارد (١٧٣٩ — ١٨٠٩) وبلاتنر (١٧٤٤ — ١٨١٨) الذين دافعا عن مبادىء لبنز ، ثم هردر الذي عضد فلسفة باكون

بيد ان الفلسفة « الكانتيه » لم تلبث ان انتشرت في جامعات المانيا وتبوأت عرش السيادة بدون نزاع اثناء الثلث الاول من القرن التاسع عشر ولكنها تطورت الى فلسفة حلولية مع فخته وهيجل وشيلنغ

ان الفلسفة النقدية اذا فهمت على حقيقتها توصلنا بنظرية المعرفة الصحيحة الى اليقين . لانها اعطت لكل من المذهب التجربي والمذهب العقلي نصيبه الذي يخصه . وقد تصير في مستقبل الايام الفلسفة الصحيحة أي تلك التي تعتبر كعلم ثابت القواعد والاصول .

فالعمل الذي بدأه او تصوره « ديكارت » وأتم بعضه « كانت » يكون حينذاك بلغ النهاية ويكون لنتائجه أعظم تأثير

على المدنية قاطبة

وماكان في وسع « كانت » بالرغم من نبوغه ان يقوم بايصال هذا العمل الى حد الكمال من النظرة الاولى لانه تشرب بمبدأ لبنز ، وحبه للترتيب التحكمي الذي تركه يتغلغل في استنتاجه « للكليات » جعل فلسفته النقدية غير مستوفاة فتسرب اليها الخطأ

وكان جل خطأه انه لم ينظر الى تلك الكليات كقواعد الغرض منها ربط الافكار بعضها البعض في نفوسنا ولم يقدر لظواهر الاشياء قدرها الحقيقي فأدت فلسفته بداهة وبالرغم منه الى مذهب المثال الباطني أي الى المذهب القائل بان لاوجود للاشياء العالمية الا في الفكر وبواسطته

ولقد قام فيلسوف يشبه « روسو » من وجوه كثيرة ويشبه أيضاً الفلاسفة الاسكتلنديين واظهر ما لشهادة الذوق الفطري والوجدان من القيمة التي ينكرها « كانت »

ذلك الفيلسوف هو « جاكوبي » (١٧٤٣ — ١٨١٩) المولود في مدينة دسلدروف . فقد جعل منزله منتدى الادباء والفلاسفة . وقد انتخب عضواً في اكاديمية منيخ سنة ١٨٠٤ وألف روايته الفلسفية Woldemar التي كانت سبباً في شهرته وله أيضاً رسائل في فلسفة سبينوزا ومحاورة بين المذهب التصوري ومذهب الواقع

اما رأيه في المعرفة فهي تصدر عن بصيرة السريرة وعن

الحواس ومن قوله : « اني ارى الشمس فهي اذن موجودة ، وافكر في الروح السامي فهو اذن كائن »

وقد وجه سؤالاً الى « كانت » وهو بأي عقل يثبت ان عقله مخطيء !

اما في علم الاخلاق فيرى جاكوبي انَ الخير والشر تابعان للشعور .

فخته (١٧٦٢ — ١٨١٤) Fichte

تلميذ « كانت » — تلقى العلم في مدينة (يانا iéna) ثم تعين مدرساً فيها ثم في جامعة برلين . اراد ان يصحح مذهب استاذه بالتوفيق بين بواطن الاشياء وظواهرها . فقال

بما انه لا تكون ظواهر الا بوجود شيء ، فما لا فائدة منه افتراض « ذوات اشياء Noumenes » متعددة تحت جميع الظواهر . فلا يوجد سوى جوهر واحد هو (الآنية) Moi وعنها تصدر جميع الظواهر . فالآنية وحدها المفكرة وتعرف ذاتها وتستقر ثم تنفصل عن فكرها وتعارضه

ذلك ان الفكر يتوهم وجود شيء آخر غير آنيته أي عالم خارجي . بيد ان هذا التخيل هو عمل الآنية ومظهرها

فالآنية هي اذن كل شيء وهي الموجودة دون غيرها ويعتد

تفكيرها الى كل شيء لتحقق واجبها التصوري

ولما كانت اعمالنا كلها ترمي الى الفضيلة وهذه تكوّن في نسيان المرء كفرد لمنفعة وسلام المجموع . فعلى ذلك ينبغي علينا ان نشتغل بقدر استطاعتنا في اصلاح الجميع وفي نصرة العقل وسيادة الحرية

وشرح (فخته) هذه النظرية في كثير من مؤلفاته واخصها كتاب نظرية العلم ومصير الانسان

وقد عمل بمبادئه الاخلاقية هذه ، خصوصاً وقت الكوارث التى حلت بالمانيا فذهب ضحيتها اذ كان يوامي الجرحى الذين سقطوا فى ميادين القتال فاصابته عدوى اودت بحياته

***

قلنا ان نظرية (فخته) الاخلاقية حسنة جداً ولكن كيف نوفق بينها وبين المذهب المثالي الذي يجعل للآنية ذاتا مطلقة أو بالحري الهاً خالقاً كل موجود

ان اول واجب على الفيلسوف ان يراعي عدم التناقض

ومن التناقض الجمع في شيء واحد بين الوحدة والكثرة والخير والشر. فيظهر ان المانيا حكم عليها بان تكون بلد المتناقضات

هربرت (١٧٧٦ — ١٨٤١) Herbart

تعاليمه في مدينة كتنج كما في مؤلفاته أيضاً يستطع التخلص

من ذاك التناقض

بيد ان هذا الفيلسوف بذل جهداً عظيماً للتوفيق بين التجربة والتأمل واعطاء كل منهما نصيبه الشرعي وهو يعد تجريبياً بالنظر الى معاصريه الذين بهر ابصارهم الموجود المطلق

غبر اله هيجل (١٧٧ — ١٨٣١)

Hegel

تجاوز حد المتناقضات

ولد هذا الفيلسوف في استتجار وعلم الفلسفة في جامعة هيدلبرج ثم في جامعة برلين ومات بالوباء في هذه المدينة الاخيرة بعد ان بلغ ذروة المجد والشهرة والنفوذ . فكان ذا مقدرة عقلية وعارضة جدلية

يقول هيجل ان الفكر والكائن شيء واحد « كل معقول هو موجود حقيقي وكل حقيقي معقول »

لقد أخطأ « كانت » في التفريق بين الهيولى أى الشيء المحتوي وبين الصورة أى المحل

وعلى رأي هيجل تمتزج الصورة بالهيولى ، وقوانين الفكر هي قوانين الواقع . الا ان المثال او المطلق دائم الحركة والترقي

فيتشكل الى انواع مختلفة

ولكي يتم وجود أي شيء يجب ان تتعاقب عليه ثلاث حالات وهي :

١ً حالة وضعية ايجابية these و٢ً حالة تعارضها سلبية antithese و٣ً حالة تؤلف بينهما Sy، these

فالايجاب بوضعه ، والسلب بمعارضته يتآلفان في ايجاب اسمى منهما وهذا التآلف يصير وضعاً جديداً ينتفي بسلبه ليتكون منهما تأليف ثان وهكذا على التعاقب

فكل شيء يحدث ويترقى طبقاً للحالات الثلاثة فاذا تم التطور اللانهائي للمثل . نتج عنه الغير متناه اى الله

الا ان هذا الغير متناه هو الحد الذى يدنو منه الفكر والواقع بدون ان يدركاه قط ولذلك يكون الله متجدد المصير وابدى التكوين

تلك هي نظرية المثال المطلق الذى يقلده الفكر البشري . وبه يوجد لنفسه شبه عالم نرى فيه ان كل الاشياء موجودة وليست بموجودة . بل هي غير موجودة أكثر مما هي موجودة بما انها « هي » وليست شيئاً « مما هي »

هذا هو جوهر المذهب الحلولي الذى يوحد بين الخطأ والصواب ويجمع بين الخير والشر . فاذن كل ما هو عدل وظلم يجب ان يتلاشى امام تلك الضرورة المطلقة ويا تعساً المغلوب فالحق

للقوة وحدها ولها السياسة والغلبة ! .

اما فلسفة شيلنغ (١٧٧٥ — ١٨٥٤) **Schelling**

ففي جوهرها مماثلة لفلسفة هيجل

ولد غليوم شيلنغ في دوقية ورتمبرغ وعلم فيها ثم في مونيخ فبرلين .

اعتنق المذهب المثالى المطلق و نظرية استاذه الحلولية ولكنه ميز بين الآنية وغيرها وجعلهما كوجهي قطعة من النقود موضوعة في (المطلق العام)

فما هو هذا المطلق العام ؟

هو العقل المطلق او المطلق اللاشخصى أو المصير العام

هو الجوهر الوحيد الذى يتحول الى هيولى . او اجسام عديمة الادراك هذا من جهة

ومن جهة أخرى هو الروح او الفكر او الآنية المدركة

وللحياة الفكرية ثلاث درجات :

(العلم) وهو ادراك المطلق ادراكاً باطناً

(والفن) وهو مظهر للمطلق بصفته الفردية

(والدين) وبه تتحد الروح بالحقيقة المطلقة راجعة بذلك الى المبدأ الذى صدرت منه

هذه هي نظرية المثال الخارجى او الظاهرى

المدة الثالثة

الجيل التاسع عشر

وعلى عتبة القرن العشرين

ليس في وسعنا ان نذكر في هذا الموجز جميع فلاسفة هذا العصر وانما سنلخص هنا المذاهب الجديدة التى كانت نتيجة تفكير كبار العقول في فرنسا ، وانكلترا ، والمانيا ، وايطاليا ، واسبانيا .

الفلسفة في فرنسا

للفلسفة في فرنسا مذاهب اربعة وهي المذهب المادي ، والمذهب الروحاني ، والمذهب الاشتراكي والاقتصادي والمذهب الوضعي واليك نبذة عن كل مذهب

٧٩

الماديون

لامارك (١٧٤٤ — ١٨٢٩) Lamarck

يزعم ان العادات الناشئة عن الاحتياجات التي اوجدتها الظروف والمؤثرات الخارجية تنتج أعضاء جديدة . وان الانواع الحية يمكنها ان تتحول وتندمج بعضها الى بعض وفي بعض

وهو يفسر الحياة بتأثير سائل ساخن تتناسل منه الكائنات التي تتولد بذاتها وتنشأ عن التهيج والشعور والحاجة والعضو المغذي .

ويعتبر لامارك مهيء الطريق لداروين

جال (١٧٥٨ — ١٨٢٨) Gall

أصله من دوقية باد — شرح مبادءه وملاحظاته في مؤلفين دعى أحدهما تشريح ووظائف المجموع العصبي ، ودعى الثاني «وظائف المخ »

وهو القائل بان جميع أعضاء القوى والصفات توجد في الدماغ . ووجد في الجمجمة النتؤآت التي تدل على جميع أعضاء الدماغ .

سبورزهيم (١٧٧٦ — ١٨٣٢) Spurzheim

تلميذ جال . بذل جهداً عظيما في نشر مبادىء استاذه في جميع انحاء أوروبا وعلى الخصوص في انكلترا

بروسيه (١٧٧٢ — ١٨٤٠) Broussais .

علم بالمذهب المادي في كتابه « التهيج والجنون » وقال ان جميع الظواهر الحسية والادبية والعقلية التي تتم فينا تصدر عن المخ

٨٠

المذهب الروحاني

Spirituali- me

حصلت في فرنسا في اوائل هذا الجيل نهضة قوية تحت تأثيرات مختلفة ضد المذاهب المادية قام بها انصار المذاهب الروحانية القائلة بان العقل وحده هو الواسطة في اكتساب المعرفة الصحيحة

فدستوت دي تراسي ولاروميجيير يوصفان بانهما نقطة الاتصال بين مذهب كنديلاك الحسي والمذهب العقلي

كان دستوت دي تراسي (١٧٥٤ — ١٨٣٦) **Destutt de Tracy** سجيناً أيام الثورة الفرنساوية واطلق سراحه في ٩ ترميدور . ثم تعين مدرساً للفلسفة فنشر دروسه بعنوان « المبادىء الفكرية التصورية »

ومن رأيه ان الفكر يصدر عن الاحساس والوجدان مرتكنا على المبدأ القائل (ان التفكر هو الشعور)

فالاحساسات والتذكارات والعلاقات والرغبات ، كلها وظائف للقوى الاحساسية والذاكرة والحكم والارادة

أما لاروميجيير (١٧٥٦—١٨٣٦) **Laromiguiere** فقد

تقدم خطوة أوسع من دي تراسي فالدروس التي القاها في كلية الاداب بباريس من سنة ١٨١١ الى سنة ١٨١٣ وطبعها بعنوان (الدروس الفلسفية) تذهب الى ان جميع قوى النفس تصدر من الانتباه اذ يقول (يتضمن الفهم الانساني ثلاث قوى وهي :

الانتباه او الالتفات الذي يهب لنا المعاني

والمقارنة التي تصل تلك المعاني ببعضها البعض

والتعليل او التروي الذي ينظر في العلاقات الاكثر تعقيدا

هذه هي قوى الادراك الثلاثة ولا يوجد غيرها لان القوة الاحساسية ما هي الا استعدادا بسيطاً .

اما الذاكرة ، فهي نتائج الانتباه او ما يتبقى من الاحساس الشديد .

والحكم اذا اعتبر انه ادراك علاقة بمتعلق . فهو شيء انفعالي يتبع المقارنة بالضرورة

والتروي والتخيل هما بلا شك قوتان . غير ان التخيل نوع من التروي في الشكل . والتروي ذاته يتألف من التعليلات والمقارنات وأعمال الانتباه . فهو اذن لا يتميز عن احدى تلك القوى

اذن لا يوجد في النفس سوى ثلاث قوى . ولكن ليس هذا كل ما في الامر

يريد الانسان ان يكون سعيداً . فاذا احتاج الى شيء تشترك جميع تلك القوى في العمل . واتجاهها الى الغرض الذي نشعر بالاحتياج اليه يدعى رغبة

والرغبة اذا استقرت على شيء اختارته بين جملة أشياء عد تفضيلا

والتفضيل بعد المداولة يسمى حرية

ويطلق على مجموع تلك القوى الثلاثة اسم الارادة . كذلك الارادة والفهم يجمعهما لفظ الفكر

تتولد الحرية عن التفضيل . والتفضيل عن الرغبة ، والرغبة عن المقارنة . والمقارنة عن الانتباه .

فثبت اذن ان الفكر او قوة التفكير التي تشمل جميع قوى النفس تصدر عن الانتباه

نقد هذه الفلسفة

نلاحظ مع فكتور كوزين انه يستحيل ان الفكر البشرى ينحصر باجمعه في هذه القوى الثلاثة أي الانتباه والمقارنة والتعليل أو التروي

نعم ان الانتباه شرط للادراك ولكنه ليس الادراك

ويلزم للمقارنة استطاعة الحكم . ولكنها ليست ادراك الحقيقة

واذا كان التروي هو الذي يسمح للعقل ادراك بعض الحقائق الخفية . فليس هو الذي يدركها

فاذن لاروميجيير نسي القوة الاساسية التي تدرك الحقيقة مهما عطي لها من الاسماء : الفكر او العقل او الفهم

كذلك من الخطأ القول ان الرغبة تنشأ عن القوى العقلية ولا هي اساس التفضيل والحرية

كما ان تعريف الحرية ناقص . وما كل تفضيل يدعى عملاً حراً اذ لو كان كذلك لكان الشر الذي يفعل عن طيب خاطر وبمسرة قلب بدون ترو . يكفي لرفع كل مسئولية ادبية عن الفاعل

فكتور كوزين (١٧٩٢ — ١٨٦٧) V. Cousin

هو مؤسس ورئيس المدرسة الانتخابية

تلقى الفلسفة عن روييه كولار ثم اخلفه في تدريس تاريخ الفلسفة فنبغ في ذلك وطارت شهرته

واعتزل التدريس سنة ١٨٢٠ ثم عاد اليه في سنة ١٨٢٨ على عهد وزارة مرتنياك ثم عين على التعاقب مستشاراً للحكومة فعضواً في المجلس الملكي للمعارف العمومية فعضواً في المجمع العلمى الفرنسي ففى اكاديمية العلوم الادبية والسياسية فمديراً لدار العلوم فاستاذاً اعظمً في الجامعة

اما أهم مؤلفاته فهي دروس تاريخ الفلسفة فكتاب الحق والجميل والخير . ونبذات فلسفية

ويتضمن المذهب الانتخابي استخلاص أصدق الآراء من مختلف المذاهب وتكوين مجموعة منها تكون أتم مظهر للحقيقة

فلو اتبع كوزين هذا المذهب بحكمة وروية مسترشداً بالمبادىء القويمة التي تميز حقيقة بين الصواب والخطأ لسلمت من كل نقد

بيد ان هذه الطريقة كانت سبباً في الوقوع في اغلاط كثيرة

فكوزين زعم مع المدرسة الاسكتلندية ان الحس والوجدان لا يدركان الا الظواهر

اما معاني الجوهر والعلة والمطلق واللانهائي فهو يخصها بادراك العقل بدون دخل للتجربة . كذلك الحال في معنى الحق والجميل والخير فمثالها الاعلى يختص بنوع من العقل اللاشخصي اذا تصورته المخيلة بدون حقيقة واقعية . فكأن كوزين بذلك يجدد المذهب المثالي idealisme ونظرية « كانت » في جوهر الاشياء Noumene

وعبثاً حاول كوزين التمسك بالوحي الباطني أو شبه الايحاء ليبرر قيمة هذه المعارف الاساسية فانه لم يخل من متناقضات مذهب الظواهر العرضية ومذهب المثاليين

ولكنه بالرغم من هذا العيب المنطقي فهو يشغل درجة راقية بين الفلاسفة الروحانيين بالنظر لدفاعه عن نظريات افلاطون

وديكارت في علم النفس والاخلاق وما بعد الطبيعة

تيودور جوفروا (١٧٩٦ — ١٨٤٢) T. Jouffroy

اشتهر ككاتب وخطيب وفيلسوف

كان يلقي دروسه في منزله من سنة ١٨٢٢ الى سنة ١٨٢٨ ثم في كلية الآداب ففي مدرسة المعلمين وأخيراً في كلية فرنسا

واهم فلسفته مذكورة في نظريته النفسية عن معلومات الوجدان .

وهو يتعارض مع الحسيين والقائلين بالظواهر ويخص الوجدان بالادراك المباشر للآنية النفسية التي هي بمثابة جوهر وكموضوع مماثل للظواهر المتغيرة وكسبب حر في اختياره

مين دي بيران (١٧٦٦ — ١٨٢٣) Main de Biran

تقلب في عدة وظائف حكومية رئيسية واشتهر بجملة مؤلفات وقال عنه فكتور كوزين « انه اكبر فيلسوف نظري تشرفت به فرنسا بعد ملبرانش » وقال عنه روييه كولار « انه استاذنا جميعاً »

وكانت أخص ابحاثه في النفس بواسطة التأمل **Reflection** وفي مختلف قواها

وكانت « الارادة » أهم ما لفت نظره . والاجهاد في نظره هو المظهر الاساسي للحياة العقلية والبشرية ففيه تتلخص معاني السببية والآنية . وهذا الاجهاد هو الذي يرشدنا الى الانية الايجابية وما يعارضها سلباً

جرنييه (١٨ ١ — ١٨٦٤) **Garnier**

مؤلف كتاب قيم في قوى النفس وهو أهم المؤلفات عن علم النفس في عصرنا الحاضر

وينتمي الى المذهب الروحاني كثيرون من علماء هذا العصر أمثال جول سيمون . وبول جانيه وفوييه وغيرهم مما لا يسعنا ذكر جهودهم وتحليل مؤلفاتهم الفلسفية في هذا الموجز

٨١

المذاهب الاجتماعيه

Sociologisme

نستعير هذا التعبير عن «اوجست كونت» للدلالة على عدة مذاهب فلسفية اهم اغراضها اصلاح الهيئة الاجتماعية

فالاقتصاديون (جان باتست ساي ، تلميذ آدم سميث . وبستيات . وبلانكي وغيرهم) يأملون ترقي الهيئة الاجتماعية بترك المصالح المادية تنتشر وتنمو بكل حرية خالية من كل قيد

وبعض الاشتراكيين وعلى رأسهم سان سيمون (١٧٦٠ — ١٨٢٥) يتمنون ان يسود الاخاء العام على العالم ويرغبون في تفكك اواصر الاسرة بتحرير المرأة من كل قيد وكل رابطة زوجية . ويطلبون توزيع ثمرات العمل على كل واحد بحسب قدرته وأهليته . وعلى كل أهلية بحسب عملها . وكل ذلك يحصل بسلطة الآب السامي

ومن رأي سان سيمون ان الانسان خلق للسعادة في هذا العالم . والسعادة تكون في نوال الشهوات وابطال حق الملكية الشخصية .

وتوجد فئة أخرى اشتراكية يتولى زعامتها فوريه

(١٧٧٢ — ١٨٣٧) تتوهم ان في الامكان تشارك الناس في جمعية عامة بواسطة الاجتذاب الجنسي الذى يهيمن على العالم الادبي كما يهيمن الجذب الطبيعي على العالم المادي

ويتم ذلك بانشاء « بلوكات Phalanstere» وهي مساكن تخصص للناس الذين تؤلف بينهم اميال او مهنات متجانسة

وكل بلوك ينقسم الى فئات . وكل فئة تحتوى على مجموعات وكل مجموعة تضم عدة أشخاص يحترفون حرفة واحدة

وتوزيع نتاج العمل يحصل بنسبة رأس المال والعمل والكفاءة مجتمعين

وهناك طائفة أخرى (بيير ليرو ١٧٩٨ — ١٨٧١) وجان رينو (١٨٠٦ — ١٧٦٣) تطلب الاخاء العام مثل الشيعة المنتمية الى سان سيمون . غير انها تشير « بالتضامن » للوصول الى غرضها

وهـذا التضامن هو الذي يصيغ الاثرة والايثار في مبدأ واحد . والعائق الوحيد الذى يحول دون تحقيق هـذا الغرض هو الاستبداد الذي تغلغل في العائلة باستعباد المرأة . وفي الحكومة بتميز فئة عن أخرى وشخص على غيره . وفي الملكية باحتكارها تحت أيدي بضعة انفار قلائل . فيجب القضاء على ذلك الاستبداد

وشرح « ليرو » في كتابه : الانسانية ومبدؤها ومستقبلها

كيف ان الانسان صائر الى الكمال بدون حد وان رقيه يتم في هذا العالم الارضي في حياة متعاقبة

واستوفى (رينو) شرح هـذا المذهب في كتابه (الارض والسماء)

اما بطرس يوسف برودون (١٨٠٩ — ١٧٦٥) Proudon

فله مركز خاص بين الاشتراكيين لانه يريد تطبيق مذهب هيجل على الانظمة الاقتصادية والاجتماعية

وهو وان كانت له آراء ثوروية والحادية كقوله (ان الملكية هي لصوصية وان الله هو الشر) فله أيضاً أفكار سامية عن الكرامة البشرية وجمال العدالة وكل ذلك ليس لله فيه يد)

انه لا يلغي حق الملك على الاطلاق بل يقول بالحياة الدائمة ولكنه يؤكد ان العمل وحده هو الذي يبرر حق الامتلاك

وقد قاوم بشدة المذهب الشيوعي ومهد طريق الاشتراكية الحديثة . وطلب الغاء الفائدة عن الاقتراض وجعل ضريبة مال واحدة توضع على العقار ليس الا

بيد ان لويس بلانك « الابيض » واتيين كابت . تجاوزا جميع الاشتراكيين بارائهما المتطرفة فهما يريدان المساواة المطلقة بين جميع الافراد وتقسيم الارزاق بين الجميع

ولتحقيق هـذا الغرض يودان الغاء التجنيد والقضاء على الجيش . وترتيب العمل • وفرض الضرائب على الايراد

٨٢

المذهب الوضعي

Posivitisme

قال العلامة فوبيه : ان مذهب سان سيمون الاشتراكي مضافاً اليه مذهب كبانيه بروسكس المادي تولد عنهما مذهب اوجست كونت الوضعي

ولد اوجست كونت (١٧٩٨ — ١٨٥٧) **Auguste Comte** في مدينة مونبلييه ودخل في سنة ١٨١٤ في مدرسة الهندسة ثم اضطر للخروج منها لمخالفته النظام . وفي ذلك الوقت تعارف على سان سيمون زمناً قصيراً . وفي سنة ١٨٢٤ تولى زعامة المدرسة الوضعية ومبداؤها رفض كل ما لا يتحقق بالاختبار

والمبادىء العامة في هذه الفلسفة تنحصر في ثلاث مسائل :

الاولى — قانون التطور الفكري في ظرف ثلاثة ازمنة

الثانية — ماهية المعرفة

الثالثة — ترتيب العلوم المختلفة

(١) فقانون الازمنة الثلاثة هو أهم تلك المسائل في نظر الفلاسفة الوضعيين . او كما يقول ستوارت ميل « انه السلسلة الشوكية لتلك الفلسفة »

ويتلخص هذا القانون فيما يأتي :

كان الناس في بدء امرهم ينسبون الظاهرات التي يشاهدونها الى قوات غير منظورة يدعونها آلهة ، وهذا هو العصر اللاهوتي مع مختلف عقائده من حيث التوحيد والتعدد

ولكنهم لما رأوا ان الظاهرات تحدث على وتيرة واحدة لا تتغير ، وهذا لا يتفق مع الارادة المتغيرة ، اعتقدوا بوجود صفات خفية أو خواص او سوائل جاذبة

وهذا هو العصر النظري

وأخيراً أخذ التأمل يبدد تلك الخطرات الفكرية المضطربة التى لا ترتكز على أساس . وبحث الفكر في اسباب تلك الظاهرات التي تسبق او تلازم حدوثها

وهذا هو عصر العلم الوضعي الذي نعيش فيه الآن

(٢) الشيء الواقعي هو وحده موضوع العلم لانه وحده الذي يمكن تحقيقه بالاختبار وربط اسبابه بمسبباته

فالحوادث التي يمكن ملاحظتها هي الحوادث الظاهرة . اما الحوادث الباطنة فلا يمكن معرفتها

والعلم الخاص بالانسان هو علم هذا الوجود

والعلاقات التي يمكننا معرفتها هي التي نستطيع ادراكها بالحواس اي علاقات المشابهة بالتوارث

اما البحث عن العلل الفاعلة والغائية فبحث مناف للعلم . وجميع معارفنا نسبية بالاضافة الى شيء آخر اذ لا يوجد شيء مطلق

ولا يفهم من ذلك ان العلم يؤدي الى القول بالمادية وبالالحاد كلا لانه لا ينكر النفس ولا الله انما يجهلهما

(٣) يرتب كونت العلوم كالآتي :

الرياضيات . فالفلك . . فالطبيعة والكيمياء . فعلم وظائف الاعضاء . فعلم الاجتماع

وهذ الترتيب يتناسب مع تكوين العالم : فالحياة الادبية قوامها الحياة العضوية . وهذه قوامها الكيمياء . وقوام الكيمياء الطبيعة . وهذه قوامها الفلك . وقوام هذه العلوم الرياضيات

اما في علم الاجتماع. فقد فسر اولا مايدعوه بالاعتدال والحركة بنوع من الميل الذي تنجذب به الاجرام بعضها الى بعض بدون حرية او اختبار بل بناموس آلي تام كما يحصل في الاجرام السماوية ولكنه عاد وابدل هذه الحركة الآلية بقانون الايثار الذي بمقتضاه يفضل الانسان غيره على نفسه

ثم أدى به القول أخيراً الى الاعتقاد بدين عام للانسانية

اميل لتريه (١٨٠١ — ١٨٨١) Emile Littré

كتب نبذتين عضد فيهما المذهب الوضعي وهو يسلم بان الظواهر الحسية هي وحدها موضوع العلم ولا ينكر كل بحث نظري انما يقول بانه غير مدرك . اما في علم النفس فانه يرجعه الى ظواهر مخية

هيبوليت تين (١٨٢٨ — ١٨٩٣) Hyppolyte Taine

انضم الى المذهب الوضعي وكان اول كتاب فلسفي له هو « الفلاسفة الفرنساويين في القرن التاسع عشر » وهو رسالة هجو ضد المدرسة الروحانية

اما مذهبه فمشروح في كتابه « الفهم » وفيه يقول ان العلم لا يتناول الا الشيء المحسوس ، والاحساس والفكر متماثلان وما الفكر الا احساس ضعيف . والادراك وهم حقيقي

ومجمل مذهبه يؤول الى مذهب كندلياك الحسي بدون ان يلتفت الى الفكر او الحكم او التعليل

٨٤

مدرسة النقد الحديث

شارل رينوفييه (١٨١٥ - ١٩٠٣) Ch. Renouvier

حاول هذا الفيلسوف بعد كانت ان يحل مذهباً جديداً للنقد النسبي محل الفلسفة التجريبية والظاهرية كما فهمتها جميع المدارس الفرنساوية الفلسفية

فامتحانات النقد العمومي وعددها خمسة تتضمن فحص قوانا الخاصة بالمعرفة وبموضوع معارفنا ودرجات اليقين

وهو يسلم مثل كانت اننا لا نعرف سوى ظواهر الاشياء أي العامل المتمثل في ادراكاتنا واننا نفرض الكليات الباطنية لقوانا على الظواهر وهذا هو العامل الممثل

غير ان رينوفييه يخالف كانت في مسألة ذوات الاشياء noumenes

فعلى زعم رينوفيه يكفي قانون الظاهرات ويقوم مقام الجوهر وبذلك تكون موضوعات المعرفة هي من اعمال الوجدان والاعمال الخارجية وعلاقات تلك الافعال بعضها ببعض

ويقول ان علاقات الظاهرات وقوانينها تثبت بفعل

الارادة الحرة

ويختم نظريته بان العلم نسبي أو بالحري لا يوجد علم بالمعنى الصحيح

٨٥

المدرسة التقليدية

Traditionalisme

تنقسم المدرسة التقليدية الى قسمين (احدهما) معتدل وهو الذي يقلل من قوى العقل الطبيعية ومن فلاسفة هذا الفريق

(١) الكونت جوزيف دي مستر (١٧٥٤ — ١٨٢١) J. de Maistre ولد في شمبراي حيث كان والده رئيس برلمان سافوا . واشهر مؤلفاته كتاب ليالى «بتروغراد

وقد اظهر في هذا الكتاب ان الله يهيمن على العالم وقال في موضع آخر ان الانسان يتألم لانه مجرم . وكل مرض جسماني متسبب عن ألم أدبي . والتفكير هو اهتمام كافة الشعوب وهو أيضاً غرض الحكم الالهي . وعن ذلك نشأت الحروب والاوبئة

(٢) الفيكونت لويس دي بونلد (١٧٥٤ — ١٨٤٠) L. de Bonald أعظم مدافع عن الملكية بعد الثورة الفرنساوية

وهو مؤلف كتاب « مباحث فلسفية عن الموضوعات الاولى للمعارف البشرية والتشريع الأصلي

ومن رأيه ان اللغة أوحي بها الخالق الى الانسان لان هذا لا يستطيع بقوته الطبيعية وحدها ان يبتدع النطق

وان الانسان لا يعرف فكره الا بواسطة الكلمات فينتج عن ذلك ان الافكار التي علمها الله للانسان هي الهية بمصدرها كالنطق ولذلك لا تكون عرضة للشك فيجب اذن التسليم بان الحقيقة المؤكدة مؤسسة على الوحي أو الانكشاف الالهي الاصلي ورثناه نحن بالتقليد والتسليم عن السلف

وثاني القسمين تقليد مطلق وهو القائل بان العقل الفردي لا يستطيع قطعياً الوصول الى المعرفة المؤكدة

واشهر القائلين بذلك هما : لامنيه والاب بوتين

لامنيه (١٧٨٢ — ١٨٥٤) **F. de Lamennais** له كتابان جعلاه في مصاف الفلاسفة وهما «مبحث في عدم الاعتداد بالدين ونبذة فلسفية

اما باقي مؤلفاته : كلمات مؤمن ، وكتاب الشعب ، والرق الحديث فكلها جدلية ضد الكنيسة والحكومة الفرنساوية

قال لامنيه : ان جميع وسائل المعرفة التي يستطيعها الانسان لا ثبوت لها وهي مع ذلك خادعة لان الحواس تمثل لنا العالم في صورة خيالية . والشعور الوجداني لا يرشدنا عن حقيقة انفسنا

والعقل التابع للتجربة ليس له الا مقدمات مكذوبة . فاذن لا توجد حقيقة يقينية الا بارشاد الهي وبالتسليم التقليدي

اما الاب بوتين (١٧٩٦ — ١٨٦٧) **Abbé Bautain**

فلا يعترف في كتابه « فلسفة المسيحية » بصدور الحقيقة الا من الانكشاف الالهي ، وكل معرفة هي الاعتقاد بكلمة الله

٨٥

الفلسفة في المانيا

ظلت فلسفة « كانت » السائدة على العقول في المانيا حتى سنة ١٨٣٠ بفضل خلفائه فخت وهيجل وشيلنغ — ولكنها انقلبت بعد ذلك الى «وضعية او تجريبية» مع لوتز ، وهلمولتز . وويبر وفخنر .

والى « مادية » مع مولخت . وبخنر . وفوجت . وهيكل
والى « تشاؤمية » مع شوبنهور . وهرتمان . ونتشه

هرمان لوتز (١٨١٧ — ١٨٨١) H. Lotze

المولود في بوتزن كان اكثر الناس علماً بمذهب هيجل ولكنه مع ذلك كان اكثرهم كراهة لذلك المذهب فاخذ في معارضته ونقده

وقد حاول ان يجعل للادراك مواضع في النفس وهو يعتبر أول من مزج علم النفس بعلم وظائف الاعضاء

اما هلمولتز (١٧٢١— ١٨٩٤) Helmholtz

المولود في مدينة بوتسدام . فانه اضاف الى طريقة لوتز حساباً دقيقاً يختص بسرعه السيال العصبي

وفترة الزمن بين الظواهر الطبيعية المضوية وبين الادراك المدرك

ولهذا الفيلسوف مؤلفات مهمة في العدسات والصوت والكهرباء .

اما فيبر Weiber

فقد بين دوائر الاحساسات والفرق بينها وبين دوائر الاجسام المنحنية

اما جستاف تيودور فخنر (١٨٠١ — ١٨٨٧) Fechner

المولود في جروسن سرخن . فانه نشر سنة ١٨٨٠ ابحاثه في أصغر قوة لكل حاسة من الحواس . وفي الفوارق الموجودة بين الاحساسات المتشابهة . وهو الواضع للقانون الخاص بعلاقة التهيج بالقوة الاحساسية

ويتلخص هذا القانون في « ان الاحساس ينمو بدرجة لوغارتمية للتهيج »

نادى بالمذهب المادي في المانيا في هذا الزمن الفلسوف الطبيعي

مولخوت (١٨٢٢ — ١٨٩٣) Moleschott

المولود في « بوا — لي — دوك » وقد دافع عن هذا

المذهب دفاعاً شديداً في كتابه « الدورة الحيوية » وكتاب « وظائف التغذية »

كذلك بختر (١٨٢٤ — ١٨٩٩) Bnchner

مؤلف كتاب «القوة والمادة»

ولد ومات هـذا الطبيب الفيلسوف في مدينة درمستاد. واشتهر أيضاً بفلسفته المادية كارل فوجت (١٨١٧ —١٨٩٨) المولود في مدينة جيسين. بدفاعه الحاد عن نظرية « التطور » في كتابه «دروس في الانسان» وهو القائل ان المخ يفرز الفكر كما تفرز الكبد الصفراء. وكما تفرز الكلى البول!

وهيكل Hæckel

الطبيعي المولود في بوتسدام سنة ١٨٣٤ ذهب بنظرية «التطور» الى ابعد غاياتها واقصى مدلولاتها. فانه ارجع كل شيء الى ذرة واحدة حية monere اشتقت منها كل الكائنات بنوع التطور التدريجي السائر في سبيل الترقي

٨٦

امارتور شوبنهور (١٧٨٨ — ١٨٦٠)

Schopenhauer

ولد في مدينة دنترج وكان والده أحد أغنياء التجار ذكرت فلسفته في كتابيه «الجذور الاربعة لمبدأ السبب الكافي» « والعالم ارادة وتمثيل »

فرأيه ان جميع الظواهر الاختيارية واحكامنا واشكال الزمان والمكان. وفعل الفاعل ونتيجة فعله. كل ذلك مرجعه ومصدره « الارادة » دون غيرها وهى العلة الكافية لتعليل كل شيء

« فالعالم هو ما اتمثله » او هو نتاج الفهم

وشهرة شوبنهور في (تشاؤمه)

قال: اثبت العلم ان الانسان يشعر بالالم وبشدته كلما زاد رقيه وكلما تقدم في العمر، والنوابغ اكثر الناس تألماً. وان الحب سبب اكبر المصائب واكثرها التي حدثت في العالم. فهو منشأ البغض والحروب والغيرة والخيانة والخجل والجنون

ان (المطلق) الذي ابدع كل شيء بدون غاية وبلا سبب أوجد في كل الكائنات الرغبة في الحياة ولكن الحياة جهاد . والجهاد تألم . ودواء ذلك ملاشاة « الرغبة في الحياة ولا يكون ذلك بالانتحار • بل بان يدمج الانسان ذاته في مشاهدة هذا الكون العظيم طبقاً للمذهب البوذي

وهو يرى ان العالم الحاضر اقبح العوالم التي يمكن وجودها

ولكن ادورد دي هرتمان (١٨٤٢ — ١٩٠٦) **Hartmann**

خفف من شدة تشاؤم شوبنهور بأن سلم بمبدائين احدهما الخير والثاني الشر • فوضع بجانب الارادة عنصراً آخر لا يدرك ذاته فيرتب المواد المرتبكة التي تتوارد على الارادة

فالعالم اذن ليس رديئاً بجوهره • انما هو اضر من العدم

ولكي يقارن هرتمان بين الخيرات والشرور شرح ثلاث حالات للحياة البشرية وشبهها باحلام ثلاثة للحصول على السعادة بدون سعادة حقيقية :

(الحلم الاول) تكون السعادة في هذا العالم بتنمية وتقوية قوانا — وهذا هو ضلال الوثنيين : لان حب الوطن • والتضحية والجد • والحب — كل ذلك وهم وجنون وألم

(الحلم الثاني) سعادة الانسان في العالم الآخر • أي في فردوس النعيم • وهذا هو التعليم الالهي

غير ان هرتمان لا يعتقد بوجود آخرة فالحلم اذن — على زعمه — لا وجود له

(الحلم الثالث) السعادة التي لا حد لها ودائماً في ازدياد وهي امال البشرية المستقبلة ولاجلها يضحي الفرد سعادته الحالية وهذا الحلم هو تعليمُ بعض المفكرين الاحرار ولكن الترقي يكتسب بترقي الفكر • وكلما ترقى الفكر الى الكمال كلما ازداد الانسان تعاسة وألماً • لانه يزداد فهما فيكثر شعوره بالالم

والنتيجة : يجب ان يجتهد الانسان في تقصير حياته فلا يسعى للحصول على مسرات الحياة إلى ان يأتي يوم ينتحر فيه العالم بالتلاشي

اما نتشه (١٨٤٤ — ١٩٠٠) **Nietzsche**

فانه حاول في جملة مؤلفات تأسيس مذهب خلقي مبني على الاثرة والانانية . ومن مبدائه نمو القوة الحيوية نمواً زائداً • والغاية من ذلك ايجاد نوع جديد من بني الانسان هو الانسان السامي »

فقد « نتشه » صوابه وجن سنة ١٨٨٩

وقال العلامة فوييه الفرنساوي « ان مذهب نتشه التعس يؤدي الى مستشفى المجاذيب ونظريته بدلاً من ان تخلق « الانسان السامي » فانها أوجدت الانسان السافل

٨٧

الفلسفة الانكليزية

المذهب الحسي هو السائد على عقول الفلاسفة الانكليز في هذا العصر . وأشهر ممثليه هم ستوارت ميل — وداروين — وهربرت سبنسر — واسكندر بين

نظرية التشارك Associa ionisme

جون ستوارت ميل J. S. Mill

ولد في مدينة لندن في ٢٠ مايو سنة ١٨٠٦ وتوفي في سنة ١٨٧٣

أعجب بفلسفة « أوجست كونت » وادعى التلمذة له ولو انه لم يسلم بكامل نظرياته

وأهم كتبه هي : بحث في فلسفة هملتون . ومباديء الاقتصاد السياسي . وكتاب المنطق

اما مذهبه في علم النفس فتجريبي صرف . اذ يقول ان جميع افكارنا واحساساتنا قابلة للتشارك اذا كانت من نوع واحد فقانون التشارك أو تداعي المعاني • هو اساس الظواهر

الباطنية . اذ اننا عند ما نعتاد على جمع معنيين يبعضهما البعض فاذا خطر أحدهما على الفكر في وقت ما ننتظر ان يخطر الثاني فهذا الانتظار هو اساس الاستقراء .

فنظرية « التعود » لا تفسر معنى « الآنية » ولا معنى « المطلق » ولكن ستوارت ميل اجتهد ان يفسر (الآنية) بواسطة الاحتمالات المستمرة غير ان تفسيره غامض

وقد قبل معني (المطلق) بدون بحث كعامل جوهري للوجدان والفكر

(فالمطلق) حسب رأيه غير قابل للتعريف ولكنه يدرك ادراكا فحسب

(مذهبه الخلقي) اضاف ستوارت ميل على الحساب الخلقي الذى ذهب اليه بنتام — عاملا آخر وهو « الصفة » اذ يقول : ان الافضل ان يكون الانسان سقراطاً متكدراً عن يكون خنوصاً متلذذاً

ولكنه لا يسلم بالالتزام الادبي ويرى استبداله بقوة جاذبية « التعود » الذي نشأ عليه الانسان من صغره فاشرك الفائدة العامة بالفائدة الخاصة

فعلم الاخلاق وعلم الاجتماع يكونان علماً واحداً لا فارق بينهما

كما أنه يؤسس حق الملكية على «العمل» ويحبذ كثيراً الحرية

ورأيه السياسي ان تبنى الديموقراطية على حق التصويت العام والنسبي الذي تكون الاقلية ممثلة فيه

داروِن (١٨٠٩ — ١٨٨٢)

Darwin

ولد شارل روبرت داروِن في شروسبري في الثاني عشر من شهر فبراير سنة ١٨٠٩ وتوفي في داون يوم ١٩ ابريل سنة ١٨٨٢

بدأ حياته المدرسية في شروسبري ولكنه لم يكن يهتم الا بالصيد وبالكلاب حتي قال له والده يوماً « انك ستكون عاراً على عائلتك وعلى نفسك »

وفي سنة ١٨٢٥ أرسله أبوه الى ادمبورغ ليتعلم فيها الطب . فلم يكن يعبأ بالدرس لانه لاحظ ان والده سيترك له ثروة كافية ليعيش بها بدون احتياج لممارسة مهنة الطب

وكانت المحاضرات تضايقه كثيراً وتردده على المستشفي يلقي الرعب في فؤاده . وقد حضر عمليتين خطرتين احداهما عملت في طفل فارتاع منها وهرب من المستشفي ولم يعد يضع قدمه فيه مرة أخرى

وانتقل بعد سنتين الى كمبردج . وكان يمضي اكثر اوقاته في جمع الحشرات المختلفة وتعرف اثناء ذلك بالعالم النباتى هنسلو

وفي دسمبر سنة ١٨٣١ سافر مع بعثة في « أرض النار » ومكث فيها حتى سنة ١٨٣٦ وهذه المرة كان لها أعظم تأثير في حياته

ثم تزوج في سنة ١٨٤٩ ابنة عمه أيما ورجور واقام ثلاث سنوات ونصف في لندن ثم اشترى ملكاً في مدينة داون التي تبعد عن لندن مسافة ساعة في السكة الحديد فقضى باقي ايام حياته في وسط سكون الطبيعة واخضرارها

مؤلفاته : أصل الانواع ، تسلسل الانسان ، مظهر التأثيرات في الانسان والحيوان

فلسفته : — تدور حول مذهب التطور **Transformisme**

وقد استعار بعضه عن فيلسوف طبيعي فرنساوي « لامارك » الذي سبق الكلام عنه

وتتلخص نظريته فيما يأتي :

جميع الانواع الحيوانية والنباتية الماضية والحالية متسلسلة بطريق التطور والتعاقب من ثلاثة أو اربعة أصول . وربما كانت من أصل واحد . اذ يقول : « ان المقارنة تذهب بي الى ابعد من ذلك أي الى الاعتقاد بان جميع الحيوانات وجميع النباتات تسلسلت من نوع واحد »

ولكي يفسر دارون هذا التطور استند على جملة قوانين فالكائنات الحية ، بدافع ناموس الارتقاء ، تميل الى التكاثر

بنسبة متجاوزة الحد . فتنقاد الى التزاحم الحيوي « أو النضال من أجل الحياة »

ونتيجة هذا النضال قتل جميع الافراد السفلى باي صفة كانت لحفظ الاحسن وبقاء الاصلح وهذا هو « الانتخاب الطبيعي

وفي كل مرة يحصل هذا الانتخاب يرتقي العضو في طريق مهيأة له من قبل ولا يمكنه ان يحيد عنها ، خاضعاً في ذلك لقانون اختلاف الصفات . ثم عند ما تحين الفرص تتطبع أعضاء كل « ذات » بعوامل الوسط الذي وجدت فيه . ومن ذلك تنشأ أنواع جديدة مختلفة

وكل نوع قائم بذاته يجب ان يعتبر انه نوع وشيك يأخذ في الترقي تدريجياً

فالنوع الانساني لم يسلم ، بحسب هذه النظرية ، من قانون التطور . فهو متسلسل من قرد وصار في سبيل الارتقاء الى ان صار كما هو الآن

بيد ان دارون قرر انه لا يبحث عن مصدر القوى العقلية

هربرت سبنسر

H. Spencer

حياته — ولد هربرت سبنسر في مدينة دربي في ٢٧ ابريل سنة ١٨٢٠

كان والده مدرساً وعمه قسيساً ومذهبهما في السياسة (راديكالى)

ولما كانت لهربرت الحرية التعليمية اهتم منذ صغره بالعلوم الطبيعية والمسائل السياسية مفضلا اياها على دراسة اللغات البائدة ورفض الدخول في المدارس الجامعة

ولما كان عمره سبعة عشر عاماً استخدم مهندساً في سكة حديد لوندره وبرمنجهام . وترك وظيفته وهو في السادسة والعشرين من عمره . ومن سنة ١٨٤٨ الى ١٨٥٣ كان سكرتيراً لادارة تحرير جريدة « الاقتصادي » The Economist

مؤلفاته : — الاصول الاولى : مبادىء واصول علم النفس واصول علم الاجتماع واصول علم لاخلاق

فلسفته تدور حول نظرية النشوء والارتقاء Evolutionisme

فلكي يفسر هربرت سبنسر قوانين العقل البشري اضاف الي نظرية (ميل) في العادة ، نظرية الوراثة ومضمونها : ان كل عادة

متى تقوت تصبح طبيعية اعني انها تتغلغل في تكوين الانسان وتصير آلية تتحرك من تلقاء ذاتها

وهذه الاستعدادات العضوية تنتقل بالوراثة، بمعنى اننا حال ولادتنا توجد فينا اختبارات الاجيال التي سبقتنا

فالوراثة في نظر سبنسر هي أصل المعارف العامة الضرورية

فهي عامة لان الانسان لا يمكنه ان يفلت من ان يرث بنى نوعه . وهي ضرورية لان الميراث محتم على الفرد كشيء واقع

وترتكز النظرية المذكورة على مبدأ قدم المادة وعدم فنائها (أي ازلية وابدية) اضف الى ذلك قانوني (دوام القوات) و (ارتداد الحركات المسببة عن الحوائل)

يوجد ارتداد اساسي ترجع اليه جميع الارتدادات ذلك هو الارتقاء والتفكك

« جميع الاشياء تنمو او تتلاشى ، تكثر المادة او تستهلكها هـذا هو تاريخ كل تكوين عضوي وهو أيضاً تاريخ كل ترقي وتقدم

فتكوين الارض ونمو الحياة على سطح البسيطة ثم نمو الهيئة البشرية . والحكومة والصناعة والتجارة . واللغة . وادابها . والعلم والفن . كلها تفترض وجود قانون النمو والتفكك

وعلى زعم سبنسر ، بخلاف ما رأى ستوات ميل . ليس العالم احتمال مستمر . بل هو شيء واقعي تشكل بصورة أخرى

فالظواهر الطبيعية والنفسية تتوازى على الدوام وهي مثال لحقيقة ذات مظهرين . غير ان تلك الحقيقة ظلت مجهولة

٩٠

فلسفة ايطاليا واسبانيا

تأثرت الفلسفة الايطالية بمذاهب المدارس الاجنبية أثناء الجيلين الاخيرين . فبعد ان كانت « حسية » في الجيل الثامن عشر. صارت في القرن التاسع عشر « عقلية » مع جالوبي . « وتصورية » مع روسميني وجوبرتي

بسكوالى جالوبى (١٧٧٠ — ١٨٤٦) P. Galluppi

ولد في مدينة تروبيا (بايطاليا) كان منتمياً الى المذهب الروحاني المسيحى وخصما لدوداً للمذهب الحسي. تعين مدرساً فى مدينة نابولى وبقى في تدريس مذهبه حتى توفى في تلك المدينة

انطونيو روسمينى (١٧٩٧ — ١٨٥٥) A. Rosmini

ولد في مدينة روفردو بالقرب من ترانتا واندمج فى سلك الكهنوت واسس معهد الاحسان الذي كان اشبه بجمعية تضم العدد الوفير من القساوسة والعلمانيين النابهين . ثم تعين وزيراً للمعارف على عهد بيوس التاسع تحت رياسة رومي

كان عدواً لجوبرتي وللامنيه • اراد اخضاع الفلسفة للدين فتجاوزت نظرياته الحد وادت به النتيجة الى ان قال بالمذهب التصوري أي المثالي

ورأيه ان الكليات التي قال بها الفيلسوف «كانت» ترجع جميعها الى كلية واحدة وهي الكائن أو معنى الوجود

فنسنزو جوبرتي (١٨٠١ — ١٨٥٢) V. Gioberti

ولد في تورينو وحاز درجة دكتور في اللاهوت سنة ١٨٢٥ وكان منفياً سنة ١٨٢٣ لاشتراكه في مؤامرة سياسية . ثم انتخب مندوباً . وتعين وزيراً للخارجية سنة ١٨٤٨ فسفيراً في باريس

كتب كثيراً من المؤلفات السياسية والفلسفية والثوروية

وكان مناجزاً للامنيه وروسميني . بيد انه اتخذ نظرية هذا الاخير في «الكائن» وعدلها على طريقة ملبرانش بان قال ان «الكائن» موجود كامل وغير متناه . ويعرف باستطلاع باطني مباشرة . سواء كان في ذاته او في المخلوقات التي هي مظهر له

اما اشهر فلاسفة اسبانيا فاثنان :

جاك بلميس (١٨١٠ — ١٨٤٨) Balmes

ولد في فيش بكتالونيا

كتب جملة مؤلفات مهمة منها : كتاب «كيفية الوصول الى الحقيقة» وكتاب «الفلسفة الاساسية» والمقارنة بين البروتستانية والكاثوليكية في علاقتها بالمدنية الاوروبية

كانت فلسفته مزيج من نظريات ديكارت ولبنتز . والمدرسة الاسكتلندية .

دونوزو كورتيز (١٨ ٩ — ١٨٥٣) D. Cortes

ولد في الفال . كان خطيباً بليغاً يستحق ان يذكر في تاريخ الفلسفة لكتاباته عن الحرية والاشتراكية التي لا تخلو من النظر الصحيح والفكر الثاقب

كلمة ختامية

لقد وصلنا بتاريخ الفلسفة الى عتبة القرن العشرين . بعدان ذكرنا المذاهب الفلسفية ومدارسها وادوارها في دائرة الايجاز الغير مخل ولم تتعرض الى ذكر اسماء الفلاسفة العصريين امثال بول جانيه (١٨٢٣ — ١٨٩٩) ورافيسون (٢٨١٣ — ١٩٠٠) والفريد فوييه (١٨٣٨ — ١٩١٢) ووليم جيمس (١٨٤٢ — ١٩١٠) وغيرهم ممن لا يزالون في عالم الوجود من مشاهير المفكرين الغربيين فابحاثهم كثيرة كما ان مذاهبهم متشعبة أيضاً مما لا نستطيع ان نلم بها في هذا الموجز

وقد يقل هذا التشعب لو فهمت ماهية الفلسفة على حقيقتها اذ يتوقف عليها أعظم مظهر للحياة واحسن نظام للجمعيات وياحبذا لو عني مفكرو الشرق والناطقون بالضاد بالمباحث الفلسفية فاننا لا نكاد نعرف اكثر من بضعة افراد يهتمون بهذه المباحث اهتماماً هو دون القليل اصلح الله الاحوال

رسالة الاستاذ الحكيم الشيخ طنطاوي جوهري

حضرة حنا افندي أسعد فهمي

تصفحت كتابك تاريخ الفلسفة من أقدم عصورها فرأيتك في ريعان الشباب تحذو حذو اكابر العلماء ، واعاظم الحكماء ، وأفاضل الكبراء . وما احوج أمتك الى كثير من أمثالك ذوي الجد والاقدام

لقد نبذت في غضون الشباب عوائده وربأت بنفسك ان تخنع الى العجز في حظائر الروايات الغرامية . حاديث الهزلية التي عكف عليها الغافلون والشبان العاطلون ، وعلوت بعقلك الى مستوى تقطع دونه الاعناق كما تبين في مؤلفك (القوة الفكرية في المغنطيسية الحيوية) اذ نهجت فيه منهجاً يرفع العزائم ويقوي ارادة النفوس ويعرج بها الى الملأ الاعلى والمقام الرفيع . واني يستوي الفتيان : فتى يغوص في بحار العلم فيحظى بدررها من الايقان والايمان . وآخر ضل سواء السبيل فخلع العذار وهو يدعى انه بالفلسفة موصوف وبالعرفان معروف : — الا ساء مثل القوم الجاهلون !

اما كتابك هذا تاريخ الفلسفة فما اجدره بالشيوخ المجربين والعلماء المفكرين وأهل الرأي والعقول السليمة والنفوس الكبيرة . فلله درك من شاب نابغة ومصري باقعة

كتابخانه مجلس شوراى ملى

قدمت لاولى الالباب هدية نافعة · وذكرى جامعة . وجوهرة لامعة . ومصر اليوم يعوزها العقلاء المفكرون والفضلاء المذكرون ليتدبروا كتابك وليعلموا ما فيه من العبر وما تضمن من المبتدأ والخبر

ان العقول الانسانية قد تجلت في هذا الكتاب اشبه بما على الارض من جبالها واحجارها ورياضها ومزارعها وجناتها . قد نبت فيها الحب والعنب والقضب . والزيتون والنخل والحدائق الغلب . والفاكهة والاب . ومنها يكون السم والترياق والداء والدواء والمر والحلو

مذاهب الفلاسفة متفاوتة تفاوت ما على الارض من مزارع واشجار وجبال وليس يقدر على السير فيها وجني ثمارها والمشي في مناكبها وعقباتها الا القادرون الصابرون فاما من عداهم فانهم لا يفرقون بين الغث والثمين ويهلكون في عقباتها ويمرضون بما يتناولون من ثمراتها

هذا وان الله قد جعلك أيها الشاب حجة على بعض من يدعون الفلسفة في ديارنا ممن طاشت احلامهم وخف مرتزقهم وقرأوا قليلا من العلم وضاق بهم ماكانوا به يستهزئون

الا فليقرأ كتابك العلماء وأولوا الالباب أولئك هم المفلحون

فهرست

صحيفة
١ تاريخ الفلسفة
٢ فوائده — المدارس الفلسفية
٣ المذاهب الفلسفية واقسامها
٥ طريقة واقسام هذا التاريخ

فلسفة العصور القديمة

٨ الفلسفة المصرية — الهندية
١٢ « الفارسية
١٤ « الصينية
١٦ « اليونانية واقسامها ٤ مدد

٢٠ المدة الاولى — قبل سقراط

٢٢ المدرسة الايونية وفلاسفتها
٢٣ طاليس المليطي
٢٤ انكسيمندر
٢٧ هرقليطس
٢٨ انكسغوراس
٣٠ المدرسة الايليائية : كزينوفان
٣٥ « الفيثاغورسية

٣٩ امبيدوكل
٤٢ مدرسة الذرات : لوسيب وديموقريطس
٤٥ السفسطائيون : بروتغوراس — جورجياس
المدة الثانية — العصر السقراطي
٥٠ سقراط : حياته ومذاهبه
٥٦ افلاطون : حياته . مؤلفاته — مذاهبه
٦٧ ارسطو : حياته . مؤلفاته — مذاهبه
٧٦ المقارنة بين افلاطون وارسطو
السقراطيون الاصاغر :
٨٠ المدرسة الميغارية (اقليدس)
٨١ المدرسة القورينائية (ارسطبس)
٨٢ « الكلبية (انتستينوس)
٨٥ المدة الثالثة — بعد ارسطو
٨٦ المدرسة الارتيابية «بيرون»
٩٠ « الابيقورية وفلسفتها
٩٦ « الرواقية «زينون»
١٠٦ الفلسفة اليونانية الرومانية
١١٢ المدة الرابعة — الافلاطونية الحديثة
١٢١ فلسفة آباء الكنيسة

١٢٣ الغنوثسية «الادرية»
١٢٥ مدرسة اسكندرية المسيحية
١٣٠ الآباء اللاتين
فلسفة العصور الوسطى
١٣٣ مقدمة — دور الانتقال
١٤٠ المدة الاولى — تكوين الفلسفة المدرسية
١٤٥ الاسميون والواقعيون
١٥٤ فلاسفة العرب
١٥٥ يعقوب الكندي — الفارابي
١٥٦ ابن سينا
١٦٠ الغزالى
١٦٣ ابن باجه
١٦٤ ابن طفيل
١٦٦ ابن رشد
١٦٩ الفلسفة اليهودية
١٧٢ المدة الثانية : العصر المدرسي الذهبي
١٧٦ البير الكبير

١٧٨ القديس توما الاكويني

١٨٣ الصوفيون «بونافنتورا

١٨٦ المنشقون «روجيه باكون»

١٩٣ المدة الثالثة: انحطاط الفلسفة المدرسية

١٩٧ المدة الرابعة: النهضة

٢٠٠ الاحرار والشكاك

٢٠٣ فلسفة العصور الحديثة

٢٠٥ المدرسة التجريبية — بيكون

٢١٢ هوبس

٢١٥ جاصندى

٢١٦ لوك

المدرسة العقلية

٢٢٣ ديكارت

٢٣٥ خلفاء ديكارت

٢٣٨ ملبرانش

٢٤٥ سبينوزا

٢٥٤ المدرسة الانتخابية ليبنز

المدة الثانية — الفلسفة في فرنسا

٢٦٧ المذهب الحسي «كندلياك»

٢٧٠ المذهب المادي «هلفتيوس»

٢٧١ « العقلي (فولتير)

٢٧٢ « الاقتصادي :

٢٧٣ مونتسكيو

٢٧٤ روسو

٢٧٥ كناي — ترجو

٢٧٦ كوندرسيه

الفلسفة فى انكلترا

٢٧٧ المذهب التصوري (بركلي

٢٧٩ « الارتيابي (هيوم)

٢٨٢ « الوجداني (سميث)

٢٨٤ مذهب المنفعة (بنتام)

المدرسة الاسكتلندية

٢٨٥ توماس ريد

الفلسفة فى المانيا

٢٨٩ عمانويل كانت

٣٠٢ فلسفة الحلول

٣٠٤ فخته

٣٠٦ هيجل

٣٠٩ شيلنغ

المدة الثالثة

الجيل التاسع عشر

فرنسا

٣١٠ الماديون
٣٢١ المذهب الروحاني (كوزين)
٣١٩ المذاهب الاجتماعية
٣٢٢ المذهب الوضعي (كونت)
٣٢٦ مدرسة النقد الحديث
٣٢٧ المدرسة التقليدية

الفلسفة فى المانيا

٣٣٠ لوتز — بختر هيكل — مولخوت
٣٣٣ شوبنهور
٣٣٤ هرتمان
٣٣٥ نتشه

الفلسفة الانجليزية

٣٣٧ ستوارت ميل
٣٣٩ دارون
٣٤٢ سبنسر
٣٤٥ فلسفة ايطاليا واسبانيا
٣٤٨ كلمة ختامية